سلامة موسى العالم

اضواء على شخصيته يطلقها صديق مفجوع

بقلم وديع فلسطين

الارض الطيبة لا تنبت الا نباتا طيبا . وقد نشأ سلامه موسى(١) في ارض طيبة مخصبة ، هي ارض العلم ، فانبت نباتا زكا مع الايام ، وترك لنا شجرة دائمة الاخضرار تتجدد وتؤتي ابرك الثمرات ، لان شجرة العلم لا تقتلعها الا عاصفة عاتية من الجهل ، وهيهات هيهات ان تهب مثل هذه العاصفة الهوجاء بعد ان تأصلت جذور هذه الشجرة المورقة المونقة الوارفة الظلال في النصف الثاني من القرن العشرين .

تفتح شباب سلامه موسى على ضياء العرفان في اوروبا المتحضرة ، ففتن بالنهضة العصرية التي انبثقت في اعقاب الثورة الصناعية الكبرى ، وهي ثورة « علمية » في صميم جوهرها ، ورأى الخير والوفر والحضارة والصناعة تشمل اوروبا ، وشهد كيف ينعم الناس في ظل العلم بآيات المدنية الحديثة في مآكلهم وملبسهم ومغداهم ومراحهم وفي مسكنهم وعملهم وصحتهم وتفكيرهم ، فجاء الى بلاده ، وهي اصل الحضارة(٢) ، وقد انتوى ان يساهم في اذكاء الحركة الفكرية ، بغية ان يحقق لبلاده وشعبه سؤددا كالذي شهد مثله في باريس ولندره .

ورأى سلامه موسى بثاقب تفكيره وحصافته ان العلم والعرفان بضاعة لا رواج لها في عصر خيمت عليه الجهالة ، وانه اذا اريد للعلم ان يجد من الناس تقبلا وترحيبا ، فلا معدى عن التمهيد له بدعوة جريئة يتولاها رجال ملهمون يحملون الرسالة بكف ورؤوسهم بكف ، حتى تتهيأ الاذهان الخاملة لهذه الرسالة الانقلابية الجديدة ، وهي رسالة العلم ، وحتى تتبدد الاوهام التي كانت سائدة آنذاك ، وحتى يشكك في الغيبيات ، والشك اول اليقين كما قال الفيلسوف ديكارت .

وانتضى سلامه موسى قلمه ، وأجراه على الطرس يعرف الناس باعلام المفكرين من الفلاسفة والعلماء ، وبين العلم والفلسفة نسب وسبب ، حتى اذا ما نخس الغافلين وايقظ الخاملين وحرك الفتنة على الجهل ، ضرب ضربته الصاعقة بدفاعه عن دارون ونظريته في النشوء والارتقاء ، واعلن الحرب بلا مهادنة على كل خصم ينازله الطعان في ميدان شريف . وليس اشرف من ميدان المجادلة بالمنطق والمصاولة بالعقل ومقارعة الحجة بالحجة . اما حرب الخسة ، من اسفاف وتشهير ، فقد تعفف عن خوضها سلامه موسى ايمانا منه بان من يدعو الى العلم ينبغي ان يتحلى بصفات العالم من سماحة ورحابة صدر ووداعة ورزانة وثقة بالنفس .

والعلماء نوعان : عالم يجلس في مختبره بين بواتيقه وانابيبه ومجاهره ومعاييره ، يتحرى حقيقة من الحقائق العلمية بتجاريبه العملية وتخريجاته المعملية ، وهو عالم يمكن ان يسمى بالناسك الزاهد ، لتنسكه في محراب علمه ، وزهده في الاتصال بالناس في دنياهم الرحيبة . وعالم اخر يشرع قلمه ويشحذ ذهنه وينقل كشوف العلم من المختبرات وارض التجارب الى الناس جميعا ، مطوعا اللغة للتعبيرات العلمية ، مبسطا معميات العلم لكل قارىء وان كان اولي الثقافة . ومثل هذا العالم يمكن ان يكنى بالمبشر المعلم . وسلامه موسى عالم من الفئة الثانية ، فبفضله تقبل الناس العلم بعدما كانوا يجفلون منه ويعوزون من شيطانه ، وبفضله هان على الناس ان يفتحوا عقولهم لعلم النفس والتحليل النفسي . وبفضل سلامه موسى وضعت مصطلحات علمية مقبولة مفهومة صادقة الاداء للمعاني العلمية ، فصارت تلك المصطلحات شائعة على كل لسان . وبفضل سلامه موسى عرفنا الصحافة العلمية ، اي الصحافة التي تخاطب العقل والمنطق والضمير . وبفضل سلامه موسى عرفنا كيف يستطيع الكاتب ان يمزج الادب بالعلم ، فلا ينساق مع الخيال الى مواطن الشطط ، بل يرتد الى الحقائق بمنهاج العالم الاصيل المكين . وقد استطاع سلامه موسى بسلاح العقل والمنطق والضمير ان يخرس كل جعجعة ثارت حوله ، لان لصرير الاقلام بطشا يهون امامه بطش ما له قعقعة او صليل .

ولكن ، اي ابواب العلم هام بها سلامه موسى وروج لها في كتبه وفصوله ؟ صحيح انه فتح للعلم جميع طاقات ذهنه ، ولكنه خص بالعناية العلوم التي لها بالانسانية صلة وثقى ، كعلم الاحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السلالات . اما العلوم التي وهت صلتها بالبشرية ، مثل الجيولوجيا والفلك وعلم الروح وما اليها ، فقد عزف عنها سلامه موسى وسدد المطاعن الى بعضها ، كعلم الروح مثلا . وكان منهاجه في تناول هذه العلوم جميعا قائما على دعائم ثلاث هي :

التبسيط ، حتى لا يستبهم على القارىء اي شيء ،

والتنشيط للذهن ، حتى متى استوعبت حقائق العلم دار في فلكها وطوف بدنياها ،

والتوفز ، اي طلب الاستزادة . فلا قناعة في العلم ، بل هناك نهم دائم الى التمتع بشهوات العلوم الحديثة المتجددة .

---

(١) لقي الاستاذ سلامه موسى ربه في يوم ٤ اغسطس (آب)١٩٥٨ اثر جراحة اجريت له في المستشفى القبطي بالقاهرة .

(٢) لسلامه موسى كتاب عنوانه « مصر اصل الحضارة » يؤرخ فيه لمصر الفرعونية تاريخا فطنا واعيا .

وكان سلامه موسى يقول ان العلم قوة والجهل ضعف ، فاعتنق العلم كما تعتنق العقيدة ، وازور عن كل ما لا يتقبله الذهن البشري بمنطق التفكير السليم · فكان يحتكم في كل قضية من القضايا الى عقله ، لا يقبل الموروثات على علاتها ، ولا يدين بالرأى الغالب حتى ولو شذ عن المجموع وانفرد برأي خطير ، ولكنه لن يكون خطيرا· وكان يذود عن كل حقيقة علمية حتى يثبت بالتجريب العملي بطلانها ، او حتى تأتي مرحلة جديدة من مراحل العلم فتهدر مرحلة سابقة · وهو في هذا مغلوب بنزعة التطور ، اي الارتقاء من منسوب وضيع الى منسوب اعلى منه ، وهلم جرا · فلم يكن سلامه موسى متناقضا مع نفسه على مدى العمر ، كما يزعم بعض خصومه ، بل كان متطورا مع ما تمليه اقتضاءات الحياة الفكرية التي كان يحياها ·

وكان سلامه موسى مثاليا دون ان يغفل الجانبين العلمي والعملي لمثاليته · وكثيرا ما قصر به السعي عن بلوغ اهدافه المثالية في حياته الشخصية او في حياة مجتمعه ، ولكن حماسة السعي لم تزايله ، وحرارة الايمان لم تتخل عنه ، وروح المثابرة لم تنصرف عنه ، فظل في تطلعه الى المثل العليا مجاهدا صامدا ، يكرر دعوته ، ويردد حجته ، ولا يمل التكرار ، وان عاب عليه الناس ذلك ·

وكانت لسلامه موسى دعوة مسموعة الى ابتداع اسلوب علمي في الكتابة يخلو من المحسنات والوشي وينفذ الى صميم الوجدان الفكري بالعبارات المحددة المباشرة التي لا تحتمل الا معنى واحدا · وقد حرص سلامه موسى على هذا الاسلوب العلمي في كتاباته جميعا،وفي سوق آرائه · وعلى هذا خلت جميع مقالاته ، حتى الصحفية منها ، من الفضفضة الكلامية ، واقتصرت على عرض الآراء والافكار عرضا دقيقا محدد الهدف ، دون اسراف في العرض او تبذير في الكلام· فجاءت كتابات سلامه موسى كاوعية ملئت علما ففاضت وغمرت المشارق والمغارب ·

وكان العالم الجهبذ سلامه موسى خادما بالانسانية في جميع مباحثه العلمية، بل في جميع تصانيفه التي تفاخر بها الضاد على الاجيال · فقسا قسوة مرة على كل محاولة لاستخدام العلم في غير ما وضع له ، وهو ترقية الانسانية والاخذ بناصرها من طور التخلف الى طور النمو والازدهار · وشدد النكير على دعاة الابادة ، الذين يبغون التوسل بالعلم لافناء البشرية أو لتخريب العمران الثقافي والمادي الذي حققته الحياة على ترادف الحقب والعصور · نما فتىء سلامه موسى يؤمن بتعاون العلماء على ما فيه خير المعمور ، ويزجر بعنف كل دعوة يراد بها ايثار فئة من الناس بخيرات العلم دون سائر فئات البشر ·

ولم يكتف سلامى موسى بالدعوة الى العلم بقلمه ،بل عمل جاهدا على نشر الوعي العلمي في مصر عن طريق الهيئات الخاصة ، فاشترك في عام ١٩٣٠ مع كوكبة من العلماء في انشاء المجمع المصري للثقافة العلمية ، الذي ما برح يحمل رسالة العلم الى يومنا هذا ، وان عابت عليه سلامه موسى برجه العاجي وشارك في كل دعوة جديدة مقصدها خير البشرية ، فكان في ذلك انساني النزعة اكثر منه قوميا ·

أما فضل سلامه موسى على العلم من حيث المصطلحات التي وضعها وعمل على تداولها ، ففضل ، ان لم تقره المجامع ، فان الضاد والناطقين بها في كل صقع يقرون به اقرار ثناء وعرفان بالجميل · فلسلامه موسى فضل الريادة والقيادة ، حيث كان مجال العلم ضيقا ، وحيث كان التعبير العلمي مستعصيا الا بلغات الاعاجم · فضم سلامه موسى جهده العظيم الى جهود اقرانيه ومعاصريه يعقوب صروف وشبلي شميل ونقولا الحداد واسماعيل مظهر وفؤاد صروف ، وذللوا جميعا عقبة اللغة ، وهان التعبير عن المعاني العلمية باللغة العربية الفصيحة المبينة ، واستقامت بالتالي حجة القائلين ان الضاد لغة علم كما أنها لغة انشاء وأدب ·

والمصطلحات التي أجراها سلامه موسى على الالسنة، سواء ما عربه منها أو ما ترجمه أو ما نحته أو ركبه ، مصطلحات تجمع بين سهولة الاداء للمعنى وجلاء الصياغة ودقتها في التعبير العلمي · وله في علم النفس وعلم الاحياء مساهمة مقدورة في هذا الباب · ويضاف الى فضله فضل آخر ، هو ان هذين العلمين كانا جديدين على التفكير الشرقي حين تصدى لتناولهما سلامه موسى ، فكان سباقا الى الاخذ بالمعارف الجديدة ، شأنه في سبق التبشير بالصناعة وحرية المرأة والتفكير العلمي ·

وكان سلامه موسى نافذة أطللنا منها على فتوحات الغرب في العلم والحضارة والعمران والادب الحي والفلسفة· فكان يقرأ كل جديد من مستحدثات التفكير الغربي ، فمتى استوعب مادته وصيرها كالعجينة بين يديه ، أطعمنا اياها كما تطعم الحمامة قطاها · وكان قارئا نهما ، يختار للقراءة كل بكر من الاراء المسطورة وكل ثوري من الافكار غير المطروقة · ولكنه كان ذا شخصية قوية مستقلة تتجلى في كل ما ينقله الينا من الآراء ، لانه كان يبلور ما يقرأ ثم يجوهره بعد ان يكسبه من صميم كيانه تفردا وتميزا · فلم يكن سلامه موسى يقنع بنقل العلم ، بل كان يضيف اليه من تعليقاته وتوجيهاته ما يجعله علما انسانيا خير النزعة ، هدفه تكوين الشخصية الناجعة اليانعة للفرد ، وخلق المجتمع السعيد الذي تنمي فيه الاحن والفروق · ودينه في كل هذا ، هو دين الحب البشري الاخوي الذي يشمل في اطاره البشرية جمعاء ·

أما الاستاذان اللذان يدين لهما سلامه موسى بالفضل في منهاجه العلمي ، فهما دارون وفرويد ولكنه خالفهما في

كثير مما ذهبا اليه في آرائهما · فخالف فرويد في نظريته الخاصة « بمركب أوديب » وتوسع في نظرية دارون حتى اعتبر النبات والحيوان والانسان جميعا اعضاء في أسرة واحدة نشأت من الطين والصلصال · ثم انه أخذ على فرويد ومريديه من طلابه اقتصارهم علـــى التحليل النفسي دون التأليف النفسي ، وقال ان التأليف أجدى على النفس مــن التحليل ، ثم نبه الى ضرورة السعي الى وضع علم للتأليف النفسي يكمل النقص الملحوظ في التحليل · ولكن سلامه موسى يغفر للعلماء ما قد يتورطون فيه من خطأ ، لان الخطأ في عرفه كوة للتفكير والتعليل · والعالم الحق هــو الذي يبادر الى الاعتراف بخطئه حتى تكشفت له الحقائق البعيدة عن المطاعن · وحسب العالم ان يكون في تفكيره محوريا أو بذريا (أي يلقي البذار) ، فلا يعطي الناس معرفة جامدة ، بل يعطيهم المعرفة النامية التي تنمو وتتشعع في الخلايا الرماديـــة من الدماغ فتتركنا ونحن نفكر ونشتبـك فـي اشتباكات جديدة لا تفتأ تنبهنا الى توسع وتعمق وايناع»(١)

وكان سلامه موسى ، بفضل النزعة العلمية فيــه ، ينظر الى الدنيا والى الاحياء في استعراض علمي وتحليـــل اقتصادي وسيكولوجي ، على حد تعبيره · أي أنه كان فـي منهاجه العلمي موسوعيا انسانيا متعمقا متطورا ناميـــا · وكان احساسه ووجدانه مع النزعة الانسانية أينما وجدت · وعلى هذا هام سلامه موسى في ميادين العلم بعين بصيـرة وضمير حي متيقظ وذهن متوفز وزكانة ملتمعة ، وكان في كل ذلك طالب درس وطالب حياة · فالعلم في رأيه واسطة الى غاية ، أما الغاية فتعينها الفلسفـــة والآداب والفنون ·

(١) تربية سلامه موسى ـ ط ٢ ـ ص ١٠٠

وبفضل العلم يستطيع المرء ان يتطلع الى الغايات السامية المتسامية التي تحدى اليها الركائب ·

ولقد عاش سلامه موسى في دوامة من التفكير العلمي، فاكتسب من ذلك خصلتين باقيتين هما : النظرة الموسوعية الشاملة للكون والاشياء والاحياء والآراء ، والنزعة الانسانية الصافية التي تستهدف السعادة والمحبة والشرف والرفاهية والتآلف · ولهذا أخلى نفســه من كل شيمة ذاتية وصار رجل، الايثار والخدمة: يتعلم ليعلم، وينتفع لينفع، ويستزيد ليزيد ، ويتلذذ بالقيم العليا ليلذذ بهـــا الآخرين · وقــد ساعدته الصحافة على بلوغ هذه الغاية فهيأت له ان يتصل بالجماهير وان ينشر التفكير العلمي من هذا المنبر العالي ·

وهناك رغبة كانت تضطرم دائما في صدر سلامـــه موسى ، وهي رغبته في نشر العلم على نطاق شعبي، باصدار الكتب الشعبية الزهيدة الثمن، وتخصيص أنهر في الصحف لحمـل رسالة العلم · وقـــد كانت له في هذين الميدانـين محاولات نيرة ، غير انه اسلم الزمام الى غيره ممن لا تجتمع لهم صفـــة المعلم المستنير الملهم التي كانت خصيصـــة من خصائص العلامة الكبير سلامه موسى ، فدب الهزال في ما بقي من هاته المحاولات ·

وبفقد سلامه موسى ، خسر العلم خسارة جسيمة ، اذ اختفى الذهن النير والوجـــدان البصير والقلب العامر بالحب والتسامح ، واختفى رسول أضاء المشاعل في أزمنة الجهالة وكان حصننا منيعا لحرية الرأي والتفكير والتعبير ، وكان واحدا بمقام ألف ·

القاهرة — وديع فلسطين

متكتم

صفـق الحب وباح النظـــر — لم لا نشدو ؟ ولم لا نستتر ؟
لم تخفي الوجــد عني وانا — بهواك الحلو دومـــا أجهر ؟
تعب الديجـــور اصغـــاء الى — شكوتي الحرى وناء القمـــر
يا هواي البكر يا كل المنـى — انت في جفني دنيـــا تخطر
كلمـا لاحت لعيني لفتـــة — لاح منك الامـــل المستبشر
تخنـق النظـرة حتى لا أرى — فيك معنى للهـــوى يستتر
واذا الدمـع رثى لي وهمـى — هـــزك الكبر واخفى الخفـر
تكتـم الآلام عنـي ولـــدى — قلبي الغض الجوى يستعر
يا أرق الناس يا أحلى الورى — ذنبي الحب فلم لا تغفـــر ؟

جدة — أحمد عبد الجبار

خيطان جديدان

بقلم جان الكسان

وحث ابراهيم الخطى ، عيناه تآكلان الطريق بتساؤل يائس والهموم تملأ كيانه فيدور ويدور في الدوامة وقد خيل اليه ان اسفلت الطريق حية سوداء طويلة ، ماكرة ، تتلوى أمامه لتعذبه ·· وان دقات الطاحون لا تختلف في ازعاجها عن دقات ابنه محمود عندما يحاول في ساعة القيلولة ادخال مسمار في خشب قبقاب أمه القديم ·· وان الاصداء التي تدوي في رأسه صفير شيطاني لجماعة من الهاويات السفلى تريد ان تسخر منه ··

لماذا يطول هذا الاسفلت اللعين ؟



تلقفه الزقاق الجانبي من آخر حي بطرف المدينة الشرقي في ساعة مبكرة من الصباح والجو مثقل برطوبة باردة ·· وكان على وجهه اعياء وعلى جبينه تقطيبة من لعنة الحياة ·

نفس الطريق ·· ونفس الحقارة · ونفس المشاهد : البيوت الفقيرة الواطئة تتراكب حوله كالصناديق القديمة المهملة ·· والطاحون اللعين يرسل دقاته الرتيبة من الضفة اليسرى للنهر الصغير ، وحذاؤه يضرب الاسفلت بعدم مبالاة عاجلة ، بينما تدوي في رأسه اصداء كثيرة مختلطة ببعضها تدق فيه بعناء وقسوة والحاح ·· اصداء أصوات أطفاله الستة ، وانين زوجته الحامل ، وتوصيات والدته العجوز ·

ان هذه الاصداء تتصالب وتتزاحم في رأسه واذنيه وعينيه فيشعر بنفسه وكانه ينداح في دوامة لهبا صفير حاد يتغلغل في كل مسام جلده بتلاعب خبيث ·· واستطاع ان يميز من بين هذه الاصداء كلمات أمه المتلاحقة : « يا ابني دبرنا ·· زوجتك ستلد اليوم ·· هكذا قالت أم خليل الداية ·· دبر كم قرش من صاحب الفرن لئلا تكون بهدلة بين الجيران ·· يلزمنا كيلو كرميلا وعلبة دخان ، واكل ·· وأجرة الداية و ··· »

وضاعت اصداء صوتها فجاة مع صلصيل جرس الكناس القريب الذي ما لبث ان صمت لينداح ابراهيم في الدوامة من جديد ···

« يا لها من عجوز بلهاء لا ترى ابعد من أنفها المقوس الذي هرب منه الدم الم استلف من (أبي محمود) صاحب الفرن اكثر من ربع راتب الشهر الحالي ، أم انها لا تعرف أبا محمود الذي تحتقن اذناه بدماء الغضب كلما طلبت منه شيئا على الحساب ·· اولا تعرف انني أخشى انفجاره يوما فيطردني من العمل ويحطم حياتي وحياة اسرتي ، ومن يدري كم من الوقت سأقتل في البحث عن عمل جديد ! ··

« الناس ·· وماذا يريد مني الناس ·· هل سيشبعهم كيلو الكرميلا الذي سأشتريه لهم ؟ · وزوجتي ، ألم تستطع ان تمنع نفسها هذه المرة من الحمل كما تفعل النساء المثريات ؟ · » ·

وتذكر ابراهيم فجاة قول أمه : « يبعث الله بالولد ويبعث برزقه معه » « ولكن رزق هذا المولود الذي سيطل على الدنيا بعد ساعات في جيب ابي محمود ، فكيف أطلب منه دفعة منه ؟ · وماذا سأفعل اذا تمنع ابو محمود عن الدفع ؟ ·· يا فتاح يا عليم ·· كل يوم ومعه همه ! · » ·

لماذا لا يصمت هذا الطاحون المزعج ؟ · وهذه الاصداء التى تدوي في رأسه ، الا ترحم اعصابه ؟ · الا يعرف الناس انه فقير معدم ·· الا تعرف امه بدورها ذلك حتى طلبت اليه حمل ثقل جديد فوق اثقاله الكثيرة التي ينوء تحتها ؟ ··

وتنبه ابراهيم عند اول منعطف ، وشعر انه بحاجة الى ان يشغل رأسه باي شيء ، غير هذه الاصداء التي تعذبه ووجد نفسه ـ بلا ارادة ـ امام شريط امسك بطرفه وراح يسير معه ويستعرض حوادث ماضية شغلته عما هو فيه من هم ··

في هذه الزاوية ، حيث يتفرع الطريق ـ خاصم سائق احد الباصات لانه ابى ان يحمل معه اثنين من الاطفال كاد البرد ان يجمد اطرافهما الصغيرة ·· وعند الجسر تماما قبض عليه رجل في عهد الشيشكلي اتهمه بتوزيع مناشير سرية فيها تآمر على سلامة البلاد ، وقد نال منه الرجل لكمات فيها من قوة الحنق ما يكفى لرمي الجمل ·· اما البيت الذي على ناصية الشارع فانه لا يمر يوما امامه الا ويتذكر حادثته مع ساكنيه : كان عائدا من العمل ليلا ، وعندما حاد عن الشارع العام لينعطف نحو الزقاق الجانبي تناهى الى اذنيه من البيت صراخ مستغيث يطلب النجدة ، فما كان منه إلا ان اقتحم الباب ودخل ليجد رجلا يضرب امرأة شابة بقسوة وحشية وهو يجرها من شعرها على بلاط الدار وقد استطاع ابراهيم ان ينقذها من يدي الرجل ولكنه دفع ثمن ذلك ليلة باردة قضاها في (النظارة) لانه تدخل في شئون الناس الخاصة التى لا تهم الا اصحابها لم يستطع ابراهيم ان يستعرض الحوادث اكثر ، كلها متعبة مضنية وكلها تحقن اعصابه بمزيد من الحنق على المجتمع وعلى الناس فيشعر بانقباض مرير يعتصر فؤاده ويهد

قواه حتى انه يشعر احيانا ـ وهو يعمل في الفرن ـ بان اطرافه اصبحت مليئة بالرمل فلا تطاوعه ليقف ويعمل ..

ويخرج من الفرن ويبحث في جيوبه عن قطع معدنية مستديرة بيضاء يشتري بها شيئا لاطفاله فلا يجدها تكفي ، ويثور .. ثورة عنيفة .. ينظر من خلالها الى العالم الذي يصطخب حوله ويضاعف احساسه بعجزه وفاقته ، بنظرات تدور بها عيناه كفقاعتين من الصابون تائهتين في قدر من الزيت .. يرى الناس يتحركون ، والسيارات تركض ، فيتمنى لو انه فقد نعمة النظر ، او ان تكون اذنه صماء لا تعي شيئا من هذا المسرح الرائع الذي يمثل ضجة الكون وسحر الحياة ..

وتدور الاشياء القاسية في الزوايا المظلمة من راسه لتمتلاء بالصخب والتعب والضجيج فيثور من جديد ويتمنى لو يستطيع ان ينقض على كل الاشياء ، التافهة والكبيرة ، كل همه يصبح ان يثور وان ينقض ، بل ويتطاير مزقا من لحم ملمى تصفع وجوه الناس ..

ثم تخمد ثورته فجاة ، عندما يحس بنفسه صغيرا ، تافها كانه مخلوق من مادة هلامية ، او كمحار اخرج من القوقعة فلا يقوى على مواجهة النور ..

ويكفر ، ثم يقهقه ساخرا من نفسه وهو يتعوذ من الف شيطان.. وهكذا تسير ايامه بروتين واحد ، متعب ، ممل فيستعرضها وكانه يستعرض كتائب لا تنتهي من اسرى الزنوج .

ومر باص في اول الشارع ، ثم علا فجاة صوت زمور لسيارة شحن كبيرة قادمة من الخلف فتنبه ابراهيم الى نفسه من جديد ، ولعن الافكار السود وسار الى الرصيف المقابل الذي قاده الى اول الشارع العام ..

ومر باص اخر ، ثم ثلاث سيارات صغيرة هدأ سائق الاخيرة من سرعتها حتى حاذى ابراهيم وقال له: سرفيس .. عالمرجة .. ربع ليرة ..

ربع ليرة ؟! انه ادخرها للذهاب الى مقر عمله في المزة والرجوع منه .. فما بال هذا السائق يطلبها منه؟

وكاد ان يصيح بسائق السيارة: « اغرب عن وجهي » .. عندما انتفضت السيارة امامه كقطة جميلة وراحت تطوي الشارع وهي تنزلق انزلاقا ..

...

هذا هو شارع بغداد .. وتوقف ابراهيم .. امامه مرحلة طويلة من الطريق عليه ان يقطعها على قدميه.. هل يركب باص القصاع ؟ لا .. انه لا يريد ان يفرط بفرنكاته القليلة خاصة وان ولادة زوجته قد تتاخر ـ كما قالت امه ـ الى العصر .. او الى الليل ..

« ساصل .. ساصل عن قليل الى شارع النصر ، وساركب باص المزة الى الفرن ، وهناك ساطلب من ابي محمود اسعافي ولو بعشر ليرات نصفها للداية ام خليل والنصف الثاني للحاجات الضرورية الاخرى » ..

وسار ينقل خطاه وبلاط الرصيف يركض امامه الى الوراء والسيارات تمر الى يمينه في الشارع العريض موجات متتابعة من الضجة الساخرة .. وعاقه الزحام قليلا في تقاطع بوابة الصالحية حتى وصل اخيرا الى جسر فكتوريا فقطعه وراح يصعد الرصيف العريض الذي انعطف به الى شارع النصر الصاخب ..

وتوقف قليلا على حافة الرصيف قبل ان يقطع الشارع الى موقف باص المزة وهو ينقل نظراته بحيرة بين وجوه المارة ورتل السيارات الذي لا ينتهي .. واغتنم فجاة فسحة بين سيارتين ، فاراد ان يقطع الشارع ولكن السيارة الخلفية كانت اسبق منه ، فارتد بعجلة الى الوراء ونجا من دهس محقق ولكنه صدم شابا انيقا يرتدي بذلة كحلية ثار في وجهه صائحا : العمى .. حمار ..

زاغت عينا ابراهيم وعلتهما غشاوة صفراء فتلاعبت الرؤى امامه واستطالت الشخوص ـ ومن بينها الشاب ذو البذلة الكحلية ـ الى خيوط رفيعة وطويلة ، طويلة جدا ، كاشرطة الدود .. وشعر بنقمة كبيرة تخرج من كيانه لتتفرع بدورها الى خيوط كثيرة كل واحد منها يلتوي على خيط من البشر ، اما الذي التف على الشاب الانيق الذي امامه فكان غليظا ، قاسيا ، لا يرحم ! .

وسار الشاب ، فحمد ابراهيم ربه على ذلك لانه كفاه شر نتيجة حتمية لحادثة قد تقوده الى ليلة اخرى يقضيها في (النظارة) ، وفي يوم حرج كهذا .

وفي الفرن سال ابراهيم عن ابي محمود ، فاخبره زميله رامح ان المعلم في الغرفة الخلفية ، وهو لا يسمح لاحد ان يقابله .. وتقدم منه اجير اعور اسمه عبود وقال له هامسا : عنده نعيمة الحلوة يكتب لها رسالة لترسلها الى زوجها الذي يشتغل في الجزيرة ..

فكر ابراهيم كثيرا قبل ان يجازف ويذهب الى الغرفة الخلفية لمقابلة صاحب الفرن لما يعرف عنه من قسوة .. ولكن الحالة التي ترك فيها البيت لا تدعو الى الاحجام ثم انه يعرف كم من الوقت تستغرق كتابة الرسالة التي يكتبها ابو محمود عادة لنعيمة الدافئة التي تتفجر الانوثة من صدرها واعطافها ..

« ساذهب .. وليحدث ما يحدث » ! .

وسار بخطوات وجلة الى الغرفة الخلفية ووقف ينصت باهتمام امام الباب فلم يسمع سوى همسات خافتة فنقر الباب مرتين ..

ومرت لحظات صاح بعدها ابو محمود من الداخل : من ؟..

ـ انا ابراهيم ..

وارتفعت في الغرفة همهمة غير

الـذكـرى

مهداة الى روح الفقيد شقيقي هيثم

رنوت أعـــود بالذكرى الى مـــا فات من أمس
وبي مثـل اللظى شجن يثير لواعـــج النفس
أعلله بمكـــذوب المنـــى ليكف عـــن فرس
واختله باحـــلام جنـــاها كان مـــن غرسي
واخدعـــه فتصفعني الحقيقة دون مـــا لبس
ويبــــدو ماثـــلا طيف الذي واريت بالرمس
فاطـرق من أسى والدمـع فـوق الخد أسطار

دلفت وموقـــدي بالنـــار محموم من اللهب
يغص بواكف هطـــل من النـــيران كالسحب
ويلهث صـــدره بدخانـــه ويضيق من نصب
رنوت أعـود بالذكرى أسى بحنـــين مغترب
وقلبي جاش من أسف يئن بذعـــر مضطرب
يلمدم عاصفا بالصدر فـــي غصات منتحب
وللنـــيران أنيـــاب بأضـــلاعي وأظفـــار

تململ موقـــدي ضجرا بمـــا أججت من نار
أستعر صـــدره فيثـــور من مضض كاعصـــار
وأسمعـــه عن المـــاضي حكاياتي وأخبـــاري
فيشهق ناشجـــا بالدمـــع كالاعمى لتذكار
وللنـــيران أجنحـــة الذبيـــح عنت لجزار
مـــواكب للظى طلعت بأعـــلام وبتـــار
ويجري دونهـــا للموت أعصـــار وتيـــار

عـــلام أعـــود بالذكرى الى ما فات من زمن
وأنشر ما انطوى وأثير بالاشجـــان من شجني
أعاتب بالدمـــوع النفس فـــي سر وفـــي علن
فيهمس هاجس للنفس فـــي أذني يذكـــرني
هـــو الانسان بالذكرى عـــلا صعدا الى عدن
ولـــولا هاجس الذكرى لكان المـــرء كالوثن
ويكشف من حجـــاب الغيب بالتذكار أستار

دمشق — عدنان مردم بك

مفهومة ، تبعها صوت قبقاب ثقيـــل ، وفتح الباب قليلا فظهر منـــه كرش يهتز تحت الثوب الذي كاد ان يفلت عنه الزنار ، ووراء الكرش ظهر ابو محمود ..

توقع ابراهيم منـــه كل شيء الا هذه الابتسامة المشرقة التي ارتسمت على وجهه العريض وهو يقول لـــه : خيرا ..

– زوجتي ستلد .. وانا بحاجة الى دراهم .. ارجوك ..

– كم تريد ؟ ·

– عشر ليرات ..

–انتظرني قليلا هنا.. لان جارتنا المسكينة نعيمةفي الداخل تستكتبني رسالة لزوجها ، وهي كما تعرف لا تكشف عن وجهها امام الرجال. وانا تعتبرني كابيها ..

وغاب في الداخل ليعود بعـــد لحظات وفي يده ورقتان ماليتان مـــن فئة « عشر ليرات » ، وقال خـــذ ، عشرين ليرة .. عشرة سلفة وعشرة هدية مني للمولود ، وتستطيـــع ان تعطل اليوم .. مع السلامة ..

ان ابراهيم يعرف تماما ان المعلم لم ينقلب هذا النهار بهذا الشكل الا لانه في خلوة سعيدة مع نعيمة ذات الجسد الشهي ولكن ماذا يهمه هو من امور ابي محمود الخاصة ما دام قد قبض عشرين ليرة ..

وفي طريق العودة ، وقد ركبت ابراهيم فرحة كبيرة ، امتدت امامـــه الشخوص من جديد ومن بينها البائع الذي اشترى منه الكرميلا ، خيوطـــا طويلة طويلة.. ولكنها كانت سعيدة لطيفة ، ملونة ... تتلوى راقصـــة وهي غرقى بالحنان والنشوة والجذل

وعند باب داره الخشبي قابلتـــه الجارة (اسماء) بزغرودة ضعيفـــة سرعان ما اختلجت لتختنق في رقبتها الطويلة المعروقة وصاحت: مبروك.. مبروك يا جارنا ..

ودخل ابراهيم الغرفة ، فـــاذا زوجته ممدودة في الفراش بوجـــه اصفر شاحب على شفتيها ابتسامـــة لا معنى لها وفي عينيها حكاية قديمة .. وكان في اللفائف التي الى جانب فراشها خيطان جديدان نزلا حديثـــا الى الدنيا الكبيرة ..

دمشق — جان الكسان

آفيـــون

المرأة اللعوب ..
والبحارة الخمسون .
وطفلها الذبيح
قرب طريق مظلم طريح
رمته كي تبعد عن مأساتها الظنون .
طرح له من عمره شهور ..
خط على جبهته بأحرف من نور :
« لذة أمي لحظه ، ولوعتي سنون .

والمرأة اللعوب .
تذوب
في نارها تذوب .
في يدها حقيبة بالية الالوان ..
تملاها دخان ..
تمشي وقد ادركها الغروب .
في الشاطيء المشعب الدروب
وخلفها العالم يصفرون ..
هم – يا لها – يقال معجبون

وتهمس المرأة للامواج ..
والبحارة الخمسون ! ..
هل يقتل الافيون بالافيون ؟

ويصمت الجميع والبحارة الخمسون .
وبعد لحظتين يهمسون ..
– أفيون ؟

فتبصق المرأة فوق الارض
في جنون

وبعد ان لاح على عيونهم سؤال .
صاحت بصوت اخضر الدلال .
أفيون ..
اقولها ثانية . أفيون .
شهر وبعد الشهر تصبحون .
كالشفق الاصفر ، كالاثاث ، تصبحون .
تقطرون في الدماء من مأساتكم منون .
حتى من النساء تهربون .
في عالم من الدخان تحلمون .
لكل شيء ابيض المقصد تنكرون .
فالتبغ تقضمون .
والدمع تشربون .

وقاطع الحديث في سذاجة ملاح .
مهشم الجناح
قال بصوت يشبه النواح
رحماك يا سيدتي ..
انا هنا سواح .
ونحن من مأساة حب
عاصف الخطوة قادمون :
وبعدها لا نملك الافيون .

فتمتمت بصوتها الحنون :
شهر وبعد الشهر تطردون .
تقضون شهرا بيننا وثم ترحلون ..
وان بقيتم سوف تطردون ..
أتفهمون ..
تطردون ، تطردون ، تطردون ...

بورتسموث – انكلترا — حارث الوفي

سلامة موسى المفكر الحر

بقلم خضر عباس الصالحي



يعد من قبيل التبجح قولنا : ان وفاة الكاتب المفكر الحر سلامة موسى خسارة فادحة تمنى بها الشعوب العربية في هذه المرحلة الدقيقة من حياتها الحاسمة لاستكمال الحرية والاستقلال ، فقد كان في طليعة العاملين في الحقل العلمي والادبي والسياسي ، وهو يتمتع بذكاء خارق وقوة ذاكرة عجيبة ، عاش فكرته بعمق ، وتدارس المشاكل ، الاجتماعية بروية وتبصر ، وعكس هموم الشعب باخلاص وتجرد ، ورسم جو البيئة التي عاش فيها بغير افتعال ، او طالب بحرية الاديب في التفكير والتعبير ، فالف كتابا عن حرية الفكر وابطالها في التاريخ ، تطرق فيه الى ذكر بعض المفكرين الاحرار الذين كابدوا اقسى اساليب القمع والتعذيب من اجل صراحتهم في الرأي ، وصدقهم في القول ، ولديه الكثير من الثقافة الاصيلة التي تؤهله لفهم الحقائق مع رصانة التفكير ، ووضوح القصد ، شديد الثقة بنفسه ، وليس في وسع المهاجمات الهادمة لكل مقومات الفكر مهما قويت ان تحيده عن الطريق السوي او توهن من عزيمته ، او تزعزع عقيدته !

وكانت حياته السخية بالعطاء قد تركت للاجيال الصاعدة نماذج كفاحية ، وصورا بطولية في الصراع الرهيب مع الفئات الرجعية التي جانبت العدالة واهدرت القيم الانسانية الحقة ، وشوهت الحقائق ٠٠ !

ولد سلامه موسى بمدينة الزقازيق في يناير سنة ١٨٨٧ وقد تخطى السبعين من عمره ، وهو يبذل جهودا بدنية كانه ما زال في ربيع الحياة، لانه يؤمن بأن شبابه يتجدد وسيمتد الى سن المائة ، فراعى نمطا معينا في اوقات عمله ، ومناعات طعامه ، وفترات استجمامه ٠٠٠ !

وكتب زهاء خمس وثلاثين كتابا تدور حول شؤون الفكر وفن الحياة وعلم النفس، واسس مع الاستاذ الكبير فؤاد صروف عام ١٩٣٠ (المجمع المصري للثقافة العلمية) ومارس مهنة التعليم ردحا من الزمن ، واشتغل في الصحافة فاصدر سنة ١٩١٤ مجلة (المستقبل) ولكنها توقفت عن العمل بعد ان صدر منها ستة عشر عددا ، كما اصدر (المجلة الجديدة) فكان لها صدى استحسان في نفوس القراء العرب لما كانت تتناوله من ابحاث تتمشى مع روح العصر ٠

وبالنظر لظروفه القاسية لم يحظ بتعليم جامعي ، فلم يستطيع غير الحصول على الشهادة الابتدائية، ومنذ سنة ١٩٠٦ بدأ يرسم خارطة لحياته فسافر الى اوربا وفي باريس تعلم اللغة الفرنسية ، ثم رحل الى لندن لدراسة القانون ، ولكنها لم تصادف هوى في قلبه فانصرف عنها والتحق بالجمعية الفابية ، وكانت تبث تعاليم الخير والبر ، وتدعو الى مبادىء الشجاعة والشرف ، هناك رأى الفيلسوف الساحر جورج برناردشو في لحمه ودمه فتحدث اليه ، وسمع خطبه ، وقرأ مؤلفاته ، وظل يرافقه من سنة ١٩٠٩ الى سنيه الاخيرة حيث مات في الرابعة والتسعين من عمره ، وقال عنه « وحين اعود الى الافكار التي بثها في نفسي برناردشو وحين انظر الى الدنيا من عدسته احس السرور والغضب والاقدام والشجاعة والجهد والارادة ، اجل : احس ان حياتي ترتفع الى مقام التاريخ وان لوجودي دلالة فلسفية » ٠

وقال « لو كانت هناك مدينة لبرناردشو لكانت مصر ، فان الصفحات ، القليلة التي كتبها عن دنشواي تحمل من غلواء الذهن والعاطفة ما ينظمها في عداد الادب العالمي والبلاغة السامية ، وستعيش هذه الصفحات وسيقرأها الملايين الذين سيغضبون من الاستعمار وسيعرفون منها حق مصر وباطل بريطانيا » ٠

ورجع سلامه موسى الى بلاده بعد اربع سنوات قضاها متجولا في ربوع اورويا ، فشاهد الشعوب الحرة ، واختلاط الجنسين ، والبيت النظيف ، والشارع الفسيح ، وقرأ المؤلفات العديدة، والجرائد التي تعالج شتى المذاهب الفكرية وتناقش رجال الحكم وارتاد المكتبات المجانية الضخمة، وعن طريق اللغة الفرنسية والانكليزية اتصل عقله بالنتاج الفكري الشامخ فكان يسهر الليل كله وهو يطالع مؤلفا لنيتشه ، او قصة لدستو فكسي ، او كتابا للعقليين اعداء القرون المظلمة ٠٠٠

وسرعان ما اصبح سلامة موسى مثال الاديب الضليع الحر ، فقد عرف بصلابة رأيه ، وعنف جرأته ، وعمق ايمانه ، فاستقصى قلمه البحوث العلمية وكتب عن كل ما يربط الانسان بالحياة ويرفع من آدميته المضطهدة ، ونادى باقامة صرح الحضارة العربية الراهنة على دعائم وطيدة من العلم والصناعة ، وهو اول كاتب عربي دعا الى النظام الاشتراكي في مصر وعمل له بكل ما يملك من قوى فكرية ، ورسوخ مبدأ ، فعانى في سبيل دعوته هذه ، اهوال العنت والارهاب ، وكانت الاعمال التعسفية التي جابهها لم تفت في عضده ، بل اذكت في نفسه جذوة الحماس والتضحية !

وتأثر بمشاهير المفكرين ابرزهم فرويد وداروين وماركس وقال عن داروين « لا اعرف كاتبا تأثرت منه اكثر مما تأثرت من داروين فانه اعطاني القلب الذي ازن به احيانا ، واحيانا اهدم به التقاليد ، وجعل التطور مزاجا تفكيريا ونفسيا عندي ، بل جعله عقيدتي البشرية التي تنأى عن الغيبيات واذن يجب ان اعد داروين معلمي الاول الذي علمني » ٠

وقال « واني واحد من اولئك الذين تغيروا بنظرية

داروين ، لان التطور عندي مذهب سام قدس نفسي وغيرني وجهني ، وهو ليس عندي تفكيرا فحسب وانما هو احساس وعاطفة وحب وروحية ، وكان اول مقال دبجه يراعه كان بعنوان « التطور واصل الانسان » .

وقال عن فرويد « لقد كانت دراسة فرويد عندي بمثابة الخميرة التي تفشت في ذهني وكانت علة العشرات ، بل المئات من الرجوع الذهنية ، فانه هو الذي كان يحفزني من حيث ادري او لا ادري الى دراسة المجتمع وكيف يجب ان نتقي الاجرام او نعير اصول التربية ونتقي الحرب ونفكر في الشؤون الجنسية او نقدر الثقافة او نصف الشخصية او نحدد المعنى من الذكاء والبلادة » .

كما ان سلامة موسى من دعاة الحروف اللاتينية واللغة العامية وتيسير النحو ، لذا جاء اسلوبه الكتابي سهلا مبسطا يملأ شعاب النفس صفاء، ويهتم بالمضمون ولا يعتني بالشكل ولما وجه اليه الطعن بعض المتزمتين قال « ومع اني احترفت الادب والعلم والثقافة ، فان هذه جميعها هي عندي حياة وكفاح اكثر مما هي حرفة ، لذلك انا لا ابالي ما يقال عن اسلوب الكتابة ،ولكني ابالي اسلوب الحياة ، ولا اعبأ ببلاغة العبارة ولكني اعني بأن تكون الحياة بليغة بحيث نحيا متعمقين متوسعين » .

وكان في كل ما يكتب يهدف الى الاصلاح ، فعل ذلك تلبية لنداء الفكر الواعي ، وبوحي من شعوره الانساني الفياض ، فأثار قضية هامة من اخطر القضايا وهي تفشي التقاليد البالية بين جماهير الشعب والتي ورثها من تركات الازمان الماضية ، فأخذ تيارها يشتد ويتدفق فتبهظ كيان المجتمع ، وتعرضه الى تصدع خطير، وهو لما يستقر على اساس مكين فقال « وليس شيء في الدنيا اسوأ من الاستعمار الاجنبي سوى التقاليد الشرقية المتحجرة ، وليس شيء اسوأ من التقاليد المتحجرة سوى الاستعمار الاجنبي ، انني اكافح هذا الشرق المتعفن الذي تنغل فيه ديدان التقاليد ، واكافح الهوان الذي يعيش فيه ابناء وطني ، هوان الجهل وهوان الفقر ولن اكف عن تاليف الكتب المقلقة مثل نظرية التطور وحرية الفكر ، ضمائر صغيرة ابعثها في انحاء الوادي ، والى الاقطار العربية كي ازعزع التقاليد السوداء واحرق العفن الذي تركته على العقول المطموسة » .

وكان في مقدمة انصار المرأة ومؤيدي حقوقها المشروعة ، ورفع الحيف عنها ، لانها احد جناحي المجتمع، وهل بمقدور الطائر ان يحلق في آفاق الفضاء الا بجناحيه ؟ فكافح بكل ما أوتي من رباطة جأش وشدة مراس وقوة شكيمة على دعم قضية المرأة وشد ازرها وهي تخوض ميدان النضال في سبيل صيانة كرامتها الشخصية ومساواتها بالرجل في شتى مضامير الحياة فقال : « واسوأ ما تعلمنا من هذا المجتمع الاناني التحاسدي الاقتنائي الذي نعيش فيه اننا ننظر الى المرأة جنسيا بدلا من ان ننظر اليها انسانيا فهي امرأة فقط وليست انسانا ، نعني اننا نقتنيها كي تخدم ملذاتنا وتغسل اولادنا فهي ليست الانسان المتعاون الصديق الزميل الذي نرافقه ونصادقه » .

وقال « والحياة الفنية للمرأة تقتضي ان تعمل كالرجل، فتحترف حرفة ما ترفعها من الانثوية الى الانسانية، وتربيها طوال العمر ، وتحملها على النمو والايقاع النفسي كما تقتضيها الاتصال بالرجال » .

وقال « وقليل من المقارنة بين امرأة الزمت البيت وحرمت المجتمع ، واخرى عملت في حرفة ، واختلطت بالمجتمع ، مدة عشر سنوات مثلا ، يوضح لنا مقدار الفرق العظيم بينهما ، فان قيم الحياة الى حد عظيم قد الغيت عند الاولى بينما هي قد روعيت عند الثانية ، ولذلك بينما تركد الاولى وتسمن وتترهل لقلة حركتها ، ولضيق آفاقها الذهنية والنفسية ، تنشط الثانية في عملها وتستبقي نحافتها وعضليتها ، وتتسع آفاقها الذهنية والنفسية » .

وكان يعتقد جازما ان الانسان لا يراعي سلم المجد الا بالثقافة الحديثة التي تناضل للخير البشري ، والمعبرة عن الروح الانسانية ، والساعية لمحو آثار الظلم والطغيان، واحلال العدل والاطمئنان بين الناس فقال « اوضح المظاهر للارتقاء والتطور والنمو هو الثقافة ، وصحيح ان هناك من يتجه ارتقاؤهم وجهة مالية او اجتماعية او سياسية فيبرزون في هذه الجهات ويجنون منها ثمرات زائلة متقلبة ليست لقيمتها ثبات القيم الثقافية ، ذلك اننا عندما نرقي بالثقافة ارتقاء نفسيا ذاتيا لا يستطيع احد او ظرف ان ينتزعه منا ، والنفس تتطور بالتغير الثقافي فتتجدد وكأنها تستعيد الصبا والشباب ، وتهبط على عوالم جديدة لم يكن لها بها معرفة من قبل ، واذا اعتدنا الثقافة فان الاغلب اننا نخرج منها بمذهب كفاحي للخير البشري ، وهذا المذهب يغذينا وينير بصيرتنا عن دلالة الحياة كما وانه يوفر لنا اهتمامات لا تنقطع ، ان الثقافة هي نمو العقل ، نمو النفس بعد ان يقف الجسم عن النمو الطبيعي . فنحن حين نقرأ او ندرس نهبط كل يوم على جديد نحس فيه التوسع والتعمق ، اي نحس النمو كأننا نكبر بعد صغر ، ونتسع بعد ضيق ، وننظر بعد عمى » .

ولم ينس سلامه موسى وهو في غمرة اعمال المفكر بموضوعات العصر الحديث مشاهد الطبيعة الرائعة ، فيصف صور جمالها الاخاذ وصف شاعر ملهم رقيق الشعور ، رهيف الاحساس ، رحيب الخيال للتعرف الى ملامحها ومزاياها فيقول « واحيانا حين اقعد في الريف واتأمل القمر وهو يحيل كل شيء على الارض الى خلق سحري ، او حين اتأمل النجوم وانا اعرف ان كل نجم يضيء اكثر مما تضيء شمسنا ، او حين اتأمل الشفق في رائعة جماله ، او حين اخرج في الفجر انتظر بزوغ

الشمس والدنيا هادئة صابحة كأنها لم تخلق الا منذ دقائق، او حين اتأمل قطرات الندى وهي ترتعش في الصباح على اوراق الشجر ، او اتأمل اسراب الغربان وهي عائدة الى اعشاشها عند الغروب ، او اليمام وهو يغازل على استيحاء وفي طمأنينة ، او حين اتأمل هذه الحرب الخفية السرية بين النبات والحيوان في ديسة او خميلة على جدول ، اتعجب من يرضى بقضاء دقيقة فيما يسميه قتل الوقت على المقهى بدلا من ان يحري ساعيا لاهثا الى الريف كي يختبر هذه الدنيا في اعماقها وصميمها . واتعجب من انسان او بالاحرى من انسانة ، تعتقد الجمال في عقد من اللؤلؤ او قلادة من الالماس مع ان جبلا من هذه الجواهر لا يساوي في جماله جمال الشمس او القمر : » .

ووضع لابناء امته تصاميم التربية السديدة لاعداد جيل صالح يضطلع باعباء المسؤولية ، ولتحطيم اغلال الجهل التي يرسف فيها الوطنيون ، وحملهم على ارتشاف مناهل العلم المثمر ، ليدفعهم الى الامام في طريق الحياة فيقول : « وليست التربية ان اعرف كيف اكسب العيش، بل هي ان اعرف كيف اعيش سبعين او ثمانين سنة على هذا الكوكب في نمو لشخصيتي وترقية ذهني ، ويجب الا يكون هدف التربية ، كما هو الان ، النجاح الحرفي للكسب ، اذ يجب ان تهدف الى النجاح في الصحة والثقافة والعلاقات الاجتماعية والعائلية والارتقاء الفني والذهني » .

ومضى الكاتب الموهوب سلامة موسى يتلقن دروس الحياة ويعيش ببساطة وطيبة ، ويحتك بالناس معالجا مشاكلهم الآنية بآراء نيرة لا محاباة فيها ولا مداجاة ينطقها مدعمة بالادلة والبراهين ، مليئة بالعواطف الوطنية والخواطر الانسانية، يستشعر القارىء فيها غنى الموضوع، واشراقة الانبعاث ، وعبقرية الابداع ، وسلامة الطوية .

ولم يسمح له الساسة المسؤولون في العهد البائد بتسجيل كل ما يدر في خلده من سوانح وافكار ، وما يصبو اليه من اصلاح منشود فقد سلطوا عليه كابوس الرقابة البغيض فجثم على صدره يحصى انفاسه ، ويحد من نشاطه الفكري ..

وكثيرا ما حيل بينه وبين تحقيق رغباته في السفر الى اوربا للاتصال بالاوساط الفكرية ، والاطلاع على ما جد فيها من علم وادب ، وحورب في رزقه ولولا انه كان يتقاضى شهريا ثلاثين جنيها مصريا عن بدل ايجار عقار له ورثه عن ابيه لذهب هو واطفاله ضحية لغائلة الجوع وشظف العيش .

ولكنه بالرغم من جميع وسائل الضغط والتشريد واصل نضاله المرير لتحرير بلاده من نير الاستعمار ، ورفع مستوى المعيشة للطبقات الفقيرة ، ومكافحة الاقطاع وجعل التعليم كالماء والهواء ، ولم تلبث قوات الشرطة التي تمعن في مطاردة الاحرار والقبض عليهم والتنكيل بهم أن زجت به عام ١٩٤٦ في غياهب السجون بتهمة الترويج للافكار الاشتراكية ، ونام على الاسفلت الخشن بغير فراش في غرفة مظلمة مع القتلة واللصوص ومهربي المخدرات ، ولم تشفع له الخدمات الجلى التي اداها لوطنه ، ولامكانته العلمية المرموقة ، فقال : « وذكرت العناء الذي لقيته في الدراسة والتاليف وعددت نحو عشرين كتابا الفتها لابناء وطني ، وخلصت فيها النية ، وبذلت المجهود كي انير واعلم وكي اسمو بالشباب الى مثليات القرن العشرين واخرجهم من ظلمات القرون الماضية ، ثم تأملت حالي على الاسفلت الخشن ، وكيف اني لم اجمع مالا ولم احصل حتى على الكرامة التي يستحقها من يخدم ويخلص في الخدمة » .

و في اغسطس سنة ١٩٥٨ توفي سلامة موسى الكاتب الانساني الجريء ، وكان يهم بمغادرة المستشفى بعد ان اجريت له عملية جراحية ولكن الموت المفاجيء كان يقف له بالمرصاد ! ..

ليس من السهولة بمكان ان الم بجميع آراء المفكر العربي النابغ سلامة موسى، او ان احيط بجوانب شخصيته اللامعة في هذه العجالة ، فقد كان يملك رصيدا ضخما من المواهب فتناول بالدرس والتمحيص مختلف الوان المعرفة ، كرس جل حياته للتاليف والتتبع حتى اصبح من اقطاب الفكر في العالم العربي ، ولقيت افكاره الحرة رواجا منقطع النظير لدى المثقفين الواعين ، فاحتل منزلة سامية في قلوبهم ، واتخذ مكان الصدارة بين مفكري الشعوب ، فليس غريبا اذا ما شق نعيه على تلامذته الخلصاء ، ويكون لموته صدى اليم ورنة اسى في نفوسهم ، اذ ان فجيعتهم بوفاته اضرمت في اعماقهم شعلة الحزن التي لا تطفئها دموعهم الغزار ! ...

ولئن تلاشى جسمه عن أنظار المعجبين به ووري التراب ، فان مؤلفاته الفذة ستظل مشعلا وهاجا ينير الطريق امام النشء الجديد ، ويمزق حجب الظلام !

وقد نام نومته الابدية وهو قرير العين بعد ان رأى الشعوب العربية تستفيق من سباتها الطويل ، وتسير في ركب القومية المتحررة ، وتنصهر في بوتقة الوحدة الشاملة ، وتأخذ باساليب المدنية الحاضرة في الاستثمار والتصنيع ، وتتحرر نهائيا من قيود الاستغلال البشع ، وتتطلع الى عالم افضل !

ولعل اروع ما نختم به مقالنا هذا قوله : « ومن اجمل الاحساسات التي استمتع بها في فترات اليأس ، والتي تحيل هذا اليأس الى رجاء ، ان مؤلفاتي وافكاري ومنهجي وكفاحي كل هذا لن يموت بعد موتي ، اذ سيبقى ويؤثر ويوجه ويفتح النوافذ للنور ! ... »

بغداد — خضر عباس الصالحي

سلامة موسى

لما نعاك فم الناعي طغى الالم   في خافقي واعتراني الحزن والسأم
ترتج زوبعة الشكوى بعاطفتي   تحت الظلام وقلبي ناقم برم
بكيت فيك اديبا كان منطقه   حرا تفيض به الامثال والحكم
اكبرت فيك نضالا ظل ملتهبا   مع الطواغيت لم يخمد له ضرم
هذا ضميرك لم يعلق به وحل   وتلك نفسك ما زلت بها القدم
قاومت عاصفة الطغيان في وطن   كانت تعيث به الاوضاع والنظم
ورحت للثورة الكبرى تؤججها   على التقاليد حتى لفها العدم
تلك الاضاليل عاشت بيننا صنما   حتى تهاوى على اقدامك الصنم
مزقت بالقلم الوهاج كل دجى   كانما الشمس في كفيك لا القلم
وخضت معركة التجديد مقتحما   هوج الرياح فما انهارت بك الهمم
آليت ان لا ترى في الشعب طاغية   تناثرت جنبه الاشلاء والرمم
فان كتبت تموج النار لاهبة   خلف السطور وتطفو فوقها الحمم
وان خطبت ينير الشعب منك سنى   كيما تشع به الاخلاق والقيم
وشعلة الفكر للاجيال ترفعها   في عتمة الليل حتى انجابت الظلم

حقا (سلامة) كنت النور منبثقا   للمدلجين وموج الليل يلتطم
لم ترهب الليل مهما اربد غيهبه   وان يحف بك الاعصار تبتسم
فكم هزئت من الارهاب مندفعا   عبر السماء فضاعت حولك السدم
وكم وطئت نفوسا شابها درن   كانت من الزمرة الاحرار تنتقم
وكم حملت اضطهادا من ذوي ضغن   فما خنعت ونار الحقد تحتدم
وكم مشيت على قلب بغير علا   وفي ضلوعك قلب للعلا نهم
والروح كاللعة السمحاء صافية   تدب فيك وان حيكت لها التهم
تلك الاباطيل مهما اشتد حالكها   سينطوي قيدها الدامي وينحطم
سموت بالنفس للعلياء في دأب   كما تسامى بآفاق الذرى العلم
وللشعوب صهرت الروح في فكر   كانها فوق اطواد النهى قمم
وللخلاص من الاغلال ترسله   صوتا يرن به الوجدان والشمم
غنيت باسمك اني شاعر غرد   ينزو وينبض في قيثارتي الحلم
وان بعثت مع الذكرى صدى نغم   ينساب بين عروقي الحب لا النغم
تنمو على الارض افكار شدوت بها   مع التطور مهما بيعت النعم
وكل ارائك الغراء خالدة   فانها بهوى الاوطان تعتصم

بغداد   خضر عباس الصالحي

بين النيــل والبحــر

برأس البر، على طرف «اللسان» حيث يصب النيل في البحر الابيض المتوسط

انا ها هنا أمشي عـلى طرف اللسان · هنـا وحيـده
ارنو ال الافـــق البعيـــد واحضن الدنيـــا المديـده
الليـــل حـــل وانـــا القمر المهيمن مؤتلق
وتكاد انفاسي من الريـــح العنيفـــة تختنق
العـزلة الكبرى تضم كيـــاني الهش الضعيف
وانـــا اشم مـدى الجمـال · اعبـه حرا شفيف
فعل يميني النيـــل والبحر الصخوب عـــل شمالي
وهمـــا امامي الان يمتزجـان في حضن الوصـال
يا نيـل اني اليـوم اعتب يا أبي عـل خضوعـك
كيف استبحت لذلك الشيطان يهدر في ضلوعك ؟
كيف استبحت له كيـانك ايهـا النيـل الجميـل ؟
أنت الاصيـــل هنـــا وهـذا الضيف مغرور ثقيـل
ما أطبقت شفتاه في نهم الجنـون عـلى شفاهـك !
المالـــح الغـدار مـرر فيك جهزءا من مياهـك
يا نيـــل كيف رضيت ان تفنى بأحضـــان غريبـــه
أي انجــذاب فيـــه ، أي هـــوى واسرار رهيبه؟
هزمت عناصر شره مـــا فيك من خير توافـــر
فبدوت مربـــد المحيا عابســـا حينا وساخـــر
يا نيـل اين حياؤك المغرى وصمتك يا وقـور
اين انطوت نظراتـــك الملأى بأسرار الدهـــور
اين الصدى النعسان والقبلات والاه الدفينـــه
وخطى كرفات الطيور تشق احضـــان المدينه
لكن عيني لا تمل رؤاك في ظـــل التسامـح
هيهـات هذا البحر يزأر ضاحكا حينا ونائح
هيهـات يرغمني عـــل تشتيت احلامي الكبار
هيهـات يبعث في دمي رعبـــا ولي رأسي دوار
اهـــواك انت وانـــا اخشاه اذ بالموج يقـــذف
شتان بين الحب من اجل الهوى لا من تخوف
بي فيض تحنان اليك وبي حنين بي حنين ١٠٠
وصلات قربى بيننا يا نيل من قـــدم السنين
ودم تدفـــق من مياهـــك في حرا كالضيـــاء
ورسوخ ايمـان بحقيقــا عـــل صمت الاباء
ومشاعر فياضة في عمق عمقينـــا عتيـــه
وبشاشة وسماحـــة وعذوبـــة فينـــا نقيـــه
وهوى هـــوى للضوء للشمس الدفيئـــة ، للقمـــر
وعوالم وسمت على صـــدري وصدرك للبشر
اهـــواك ! ان عتب الفؤاد فانت انت منى فـــؤادي
فانا ابنة النيـــل العظيم واخت احرار البـــلاد !

القاهرة

جليلة رضا

المهمة

للكاتب الالماني هنريخ بل

ترجمة جورج سالم

من « الاصدقاء »

هل تعرف هذه القرى التي يتساءل الناس ، عبثا ، لماذا انشأت السكك الحديدية محطات فيها ؟ هناك حيث تبدو اللانهاية ، وقد اتحدت مع ذاتها • مجمدة فوق مصنع مقرض البنيان وبعض الخرائب ؟ وحيث تبدو الحقول وقد ران عليها جفاف ابدي ؟ تلك القرى التي يشعر المرء بانها يائسة ، لانه لا يرى فيها أية شجرة او اي برج لناقوس في كنيسة ؟ وهذا الموظف الذي يعتمر بقبعة حمراء ويعطي اشارات الانطلاق اخيرا ثم يختفي تحت صحيفة ذات اسم فخم • الا تشعر انه لا يتقاضى راتبا الا لكي يختبيء في الملال وينام فيه اثنتي عشرة ساعة كل يوم ؟ ان الافق نفسه الذي يغلف هذه الاراضي الصلدة المهجورة ليتشح باللون الرمادي •••

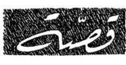
ومع ذلك ، فلم اكن الشخص الوحيد الذي نزل من القطار • فقد خرجت من العربة المجاورة لعربتي امرأة مسنة تحمل كيسا كبيرا اسمر اللون • ولكنني ما ان غادرت المحطة الصغيرة المتسخة حتى اختفت كأنما التهمت التهاما ، فبقيت لحظة حائرا لا ادري الى من يجب ان اتجه فيما اريد من سؤال •

اما المنازل القليلة المشادة بالاجر ، وقد بدت للعيان ، بنوافذها القاتمة ، المزدانة بستائر باهتة ، فلم تكن توحي بانها آهلة بالسكان • وان هيكل الشارع الذي ترسمه كان يقوم في جدار اسود على وشك الانهيار • الا انني توجهت نحو الجدار ، اذ لم اجرؤ ان اطرق بابا من ابواب هذه المنازل المتشحة بالحداد • ثم مررت بالمنعطف ، وهناك في تلك المنطقة ذاتها ، بالقرب من لوحة مرتفعة حيث تعرفت على كلمة (فندق) بشق النفس ، استطعت ان اقرأ (الشارع الكبير) وقد كتبت الكلمات بحروف بيضاء شديدة الوضوح فوق لوحة زرقاء •

ووجدت نفسي ، بعد مروري ببضعة مبان مبعثرة ، تحول طلاؤها الى غبار ، امام معمل كبير لا نوافذ له • قام في الارض كأنه حاجز اسود في مدخل ملكوت الخراب • فاتخذت حسي دليلا وسرت في الجهة اليسرى ودرت حول المعمل : الا انني وجدت ان المكان المأهول ينتهي هنا فقط • فعلى بعد عشرة امتار يمتد حقل منبسط ذو لون رمادي اسود تنعكس عليه اشعة خضراء ، لا تكاد ترى وكان هذا الحقل يتصل في مدى لا اعرفه ، بافق يكاد يفوقه ضياء • وانتابني شعور عجيب بانني انتهيت الى اخر العالم ، على حافة هاوية عظيمة قد حكم علي بانه يجتذبني اليأس التام بدواماته المتلاطمة وغرابة جاذبيته •

كان يقوم على اليسار بيت صغير منخفض يشابه البيوت التي يبنيها العمال ، في اوقات فراغهم ، فمضيت نحوه ، وانا اسير سير انسان سكران • وبعد ان اجتزت بابا صغيرا بائسا ، ولكنه مؤثر ، تعلوه شجرة ورد برية لا تزال عارية ابصرت رقم المنزل وعلمت انني لم اكن مخطئا •

وكانت مصاريع النوافذ الضاربة



الى الاخضرار ، وقد تحملت منذ القدم نوائب الزمان ، مغلقة ، كأنما الصقت بالجدار الصاقا • وكان السطح المنخفض غاية الانخفاض حتى لاستطيع ان المس ميازيبه ، قد رقع بقطع من الصفائح المعدنية ، وساد الجو هدوء لا سبيل الى التعبير عنه • كان ذلك في الوقت الذي يتريث فيه الشفق قبل ان يدحرج موجته الغضوب من المدى البعيد • لبثت هنيهة امام المدخل آسفا لانني لم الاق الموت هناك فبقيت هنا اعاني الملال • • •

وحينما مددت يدي لاطرق الباب تناهت الى سمعي ضحكة امرأة ، كأنها هديل الحمام • كانت ضحكة من تلك الضحكات التي لا يدرك الانسان كنهها ولا يمكنه التعبير عنها • هي ضحكة قد تشيع فينا المرح وقد تحز قلوبنا حسب حالتنا النفسية • ومهما يكن من امر فان المرأة التي كانت تضحك على هذا النحو ، لا يمكن ان تكون وحدها • فلبثت جامدا من جديد ، تجتاحني الرغبة في ان اترك نفسي تتساقط في رمادية الليل اللامتناهية ، هذا الليل الذي بدأ يتعلق بالحقول • وكانت هذه الرغبة من القوة بحيث اضطررت الى ان استجمع اخر قواي لكي اطرق الباب •

سادت فترة من الصمت ، وتلا ذلك وشوشات وصوت وقع خف ، ثم فتح الباب • فرأيت امرأة شقراء ، وردية اللون متالقة كبقع النور التي تضيء لوحات رمبرانت كلها ، حتى الزوايا المظلمة جدا منها • رأيت رتلا منيرا من اللون الذهبي واللون الاحمر في لعنة من اللون الرمادي والاسود • تراجعت المرأة وهي تبعث صرخة خفيفة • وقد امسكت الباب بيديها المرتجفتين ، ولكن حين رفعت عمرتي وحييتها بصوت اجش ، ارتاح وجهها المتجعد ، فحملت نفسها على الابتسام وهي تقول :

ـ ماذا تريد ؟
وانبثق خلفها خيال رجل مختلطا بظلام المشى الصغير ٠

قلت بصوت منخفض :

ـ اريد ان اكلم السيدة برنك

فاجابة المرأة بصوتها وهي تفتح بابا اخر بحركة عصبية

ـ تفضل

اختفى خيال الرجل في الظلام ، فدخلت غرفة ضيقة يملؤها اثاث بائس ، وتختلط فيها رائحة التبغ المعطرة بعفونة المطبخ ٠ امتدت يدها نحو مفتاح النور ، وحينما وقع عليها النور، بدت لي شاحبة، خائرة القوى، حتى لتكاد تكون جثة هامدة ٠ لم يكن هناك ما يحمل اية علامة من علامات الحياة والتوهج سوى شعرها بشقرته المضيئة ، ثم اختطفت بيد متشنجة معطفها الاحمر الداكن ، لكي تستر به نهديها الضخمين ، ولما كان معطفها هذا مفكك الازرار فقد بدت وكأنها تخشى ان يغتالها احد ، كانت نظرات عينيها الخضراوين تكشف عن الغم والفزع الذي يشعر به متهم يوقن بانه سينال جزاء رهيبا ٠ وكانت الالوان الضوئية الباهتة المثبتة فوق الجدار ، تبدو هي ايضا بشكل اتهامات تذاع على الجمهور ٠

قلت وفي حلقي انقباض :

ـ لا تخافي !

ولكنني ادركت في الوقت نفسه انه لم يكن ثمة مدخل للموضوع اسوأ من هذا المدخل ٠ ولم يتح لي ان اتابع شرحي لانها قالت بهدوء :

ـ انني اعلم كل شيء ٠٠ لقد مات ٠٠ مات ٠

فوافقت باشارة من رأسي ، ثم شرعت ابحث في جيوبي ، لكي اعطيها بعض اشياء وجدناها ، وفي الوقت ذاته ، ارتفع في الممر صوت غليظ يقول :

ـ جيتا !

نظرت الي نظرة حزينة ، واجابت بصوت مرتفع ، وهي تغلق الباب بعنف :

ـ يا الهي، الا تستطيع ان تنتظر دقائق !

اصطفق الباب ٠ وخيل الي انني ارى الرجل وهو يعود الى قوقعته ، وقد تضاءل حجمه ، فنظرت المرأة الي بجرأة بل بانتصار ٠

ووضعت بحذر ، فوق غطاء من المخمل الاخضر، خاتم الزواج وساعة، وكتيبا عسكريا يضم بضع صور غائرة. فراحت المرأة آنذاك تنتحب انتحابا شديدا ٠ بشكل حيواني ، وانبعث من بين اصابعها القصيرة المكتنزة شلال من الدموع الصغيرة الصافية، وتركت نفسها تزلق فوق المقعد وهي تستند الى الطاولة بيدها اليمنى، بينما راحت تداعب بيدها اليسرى هذه الاشياء التافهة ، كانت الذكرى تماثل سيفا يجرحها بضرباته وادركت ان الحرب لن تنتهي ابدا ، ابدا ٠ ما دامت الجراح التي فتحتها لا تزال تدمي ٠ ووضعت يدي فوق كتفها المستدير المرتجف ، بعد ان تخلصت من كل ما شعرت به حتى ذلك الوقت ـ من اشمئزاز ، وخوف ويأس ـ كما يتخلص الانسان من عبء سخيف ، فادارت وجهها نحوي مدهوشة ، ولاحظت آنذاك ، ان لهذه المرأة ملامح الصبية الجميلة العذبة التي رأيت صورتها مئات المرات حين كنت هناك ٠٠

اين كان ذلك ٠٠٠ اجلس ٠٠ أفي الشرق ؟

رأيتها على اهبة ان تذرف الدموع من جديد ٠

ـ لا ، في الغرب ٠٠ في الاسر ٠٠ كنا اكثر من مئة الف ٠٠

ـ وفي اية فترة !

كان لنظراتها المترصدة حيوية مقلقة ، كانت قسماتها كلها منبسطة وفتية ، حتى ليوشك المرء ان يقول ان حياتها كلها كانت تتوقف على اجابتي٠

قلت بصوت منخفض :

ـ في تموز عام ٤٥

توقفت لحظة تفكر ، ثم ابتسمت ببراءة كبيرة : وخمنت سبب ذلك ٠

نهضت ، وفتحت لي الباب الا انني الححت عليها بالخروج قبلي ، قالت لي بنحيب قصير ، وهي تبسط يدها الصغيرة المكتنزة :

ـ لقد شككت في الامر، في اليوم الذي اصطحبته الى المحطة ٠ وها قد مر على ذلك ثلاث سنوات كاملة ٠ ثم اضافت بصوت منخفض : « لا تحتقرني »

اضطربت لكلماتها هذه ـ يا الهي، هل كانت لي سحنة قاض ؟ ـ وقبلت يدها الصغيرة الفضية قبل ان تتمكن من سحبها مني ، وكانت تلك هي المرة الاولى التي اقبل فيها يد امرأة ٠

كان المساء قد حل ٠ واذ سمرني الخوف في مكاني ، بقيت بضع لحظات امام الباب المغلق فسمعتها تجهش باكية بقوة وعنف ٠ كانت تستند الى المدخل ، وكان يفصل بيننا الخشب الصفيق وحده ٠ وفي تلك اللحظة تمنيت مخلصا لو يسقط البيت ويعفي آثارها ٠

عدت من حيث اتيت متعثرا في مشيتي ، وانا اشعر بحذر غريب ، وكنت لا افتأ اخشى ان اسقط في هوة من الهوى ٠ كان نور ضعيف يضيء المنازل ٠ كأنما كان الناس فيها يسهرون على اموات ٠ وكانت الاماكن التي لا تدل على شيء تتخذ نسبا غير محدودة، بل انني رأيت خلف الجدار الاسود نفسه مصابيح صغيرة تضيء دورا شاسعة ٠ كان الغسق قد غدا كثيبا ثقيلا معتما كالضباب ٠

كان ثمة رجل وامرأة من عمرها ،

رحلة للقلب

ال ـ س ـ ولقاء يوليو على الطريق الزراعي من جلال المغيب

كان يوما ليس كالايام غنته القوافي
كان تغريدا وجرسا لؤلؤي الهمس صاف
كان طيبا بالغ الروعة قد ندى شغافي
كان نبعا عنبريا لم يطل منه اغترافي
آه ما احلى تدانينا وما اقسى التجافي

رحلة للقلب ، غناها اشتياقي ، وولوعي
ولقاء دافىء رف كانفاس الرضيع
وحديث قطر الانداء فاخضرت ضلوعي
واستحال الجدب في نفسي الى زهر ربيعي
واضاءت داخلي المهموم آلاف الشموع

كفك البيضاء في كفي اطيار سعيده
تتناغى ، وتغني للقاءات الودوده
تطعم الحب ، وتسقي ، مثلنا خمرا مزيده
فاطيلي لحظة كانت ، كما كنا بعيده
وتعالي تطلق النجوى فراشات شروده

حدثيني عنك ، عن حبي فقد غاب الرقيب
وصفي لي ٠٠ كيف تحيين على البعد المذيب
فانا والليل كم قمنا الى الفجر الرطيب
وانا والوحشة الخرساء قد جبنا الدروب
احمل الهم جرابا فوق ظهري ، كالغريب

نقطي السحر من عطر الهوى في ذوب كاسي
واسقنيها ٠٠ تشرق الدنيا باعماقي وحسي
وابسمي لي، ينجلي الحزن وانسى بؤس أمس
بسمة تمحو التباريح التي جزت بنفسي
فلكم عانيت من شجوى ، وحرماني، ويأسي

رقص الوادي افتتانا ، وانتشى لما رآك
وصحا النوار ، لما ذاع في الروض شذاك
والروابي ارهفت ، تصغي لموسيقى خطاك
وشدا التحور على الدرب وغنى لبهاك
كل شيء هزه في ذلك اليوم صباك

وجهك الضاحك كالاصباح ينسيني شجوني
واحمرار الورد في خديك نار في جبيني
وارتعاش الخصلة الشقراء كم غذى لحوني
آه منها من شفاه افتديها بعيوني
منهلي العذب على الايام او كر السنين

ومضى اليوم كما تمضي الثواني ، والدقيقه
واذا بالحلم قد ولى وواجهنا الحقيقه
أي شيء لم يرع حتى الفراشات الرشيقه
اذ طوينا الموعد الحلو وغادرنا الحديقه
وعلى الدرب غرقنا في اسانا يا رفيقه

القاهرة — محمد مهران السيد

يرتجفان من البرد ، قابعين في احدى زوايا غرفة الانتظار الصغيرة التي يتسرب اليها الهواء من كل ناحية ٠

انتظرت طويلا ويداي مشدودتان في جيبي ٠ وقد انزلت عمرتي حتى اذني ٠ كانت ريح جليدية تهب من الطريق ٠ اما الليل فقد كان يتابع هبوطه ، ساحقا كل شيء بكتلته الضخمة ٠

وسمعت رجلا يتذمر خلف ظهري :

ـ ليتنا نحصل على مزيد من الخبز والدخان فقط ٠

اما انا فقد كنت لا افتأ انحني الى الامام ، ونظرتي معلقة بالافق البعيد، كنت انظر الى النقطة التي تلتقي فيها الخطوط الحديدية المتوازية ، والانوار الشاحبة تمتد محازية لها ٠

استدار الباب على رزاته فجأة ، وصرخ الرجل ذو القبعة الحمراء بصوت عال ، وهو يفيض نشاطا ، لقد ظن نفسه في محطة عظيمة :

ـ سيتأخر قطار كولونيا خمسا وخمسين دقيقة :

وكان هذا بالنسبة الي كما لو حكم علي بأن اعود فاقضي في الاسر كل ايامي الباقيات !

حلب — جورج سالم

مختارات من الشعر الايطالي

جوفني باسكولي

Giovanni Pascoli

ترجمة

يوسف اغناطيوس كالوستيان

جوفني باسكولي · (١٨٥٥ ــ ١٩١٢) شاعر ايطالي كبير · ولد بقرية سان ماورو ــ رومانيا · وفيها نشأ مشبعا بروح السذاجة وحب الجمال · الا ان مقتل والده وهو في حداثة سنه وعلى مرأى منه ، فتح في نفسه جرحا لم تقو على تضميده الايام ، وطبع شعره بطابع الالم القلق الثائر · فرق شعوره وارهفت شاعريته وشملت محبته الصغار والوضعاء والمنكوبين · فاضحى بحق « الشاعر الطفل » كما اراد هو ان يسمي نفسه · في سنة ١٩٠٤ خلف استاذه « جيوزواه كردوتشي » على كرسي الاداب الايطالية في جامعة بولونيا ، فتمتع بانصرافه الى التعليم والانتاج بشيء من العزاء والراحة ··· الى ان وافاه الاجل سنة ١٩١٢ ·

من آثاره الكثيرة دواوينه : « اثال » « القصائد الاولى » « اناشيد كستلفكيو » « قصائد المآدب » ·

السنديانة الصريع

من « القصائد الاولى »

حيث كان الظل ، هناك تلقي السنديانة
نفسها ، ولا تعود تصارع العاصفة ·
الناس يقولون : الآن نرى انها كانت عظيمة !

وتتدلى من هنا وهناك الى جانب اكليلها
اعشاش الربيع ·
يقول الناس : الآن نرى انها كانت حنونة !

كل يمدح ، كل يقطع · وفي المساء
كل يعود برزمته الثقيلة ·
في الفضاء بكاء ·· دخلة
تفتش عن عشها السليب ·

شب الليل

من « اناشيد كستلفكيو »

وتتفتح الازهار الليلية
في ساعة افكر فيها باعزائي
وتبدو بين جنب الرباط
فراشات الشفق ·

منذ امد بح الصياح :
هناك بيت يغمغم وحده ·
تحت الاجنحة ترقد الاعشاش
كالعيون تحت الجفون ·

من الوريقات المتفتقة يفوح
عبير التوت الافرنجي الاحمر ·
ثمة مصباح يتألق في الحجرة ·
ينبت العشب فوق الحفر ·

نحلة متأخرة تطن
فتلقي جحر خليتها مستوطنة ·
والثريا * تترنح في البيدر الازرق ·
بصيّني الانجم المترجرجة ·

ينتشر طوال الليل الشذا
متهاديا مع الرياح ·
يتنقل المصباح بأضوائه على السلم ،
يتلألأ في الطابق الاسفل ، فيطمس ···

هوذا الفجر : فتنكمش الوريقات
وقد علاها شيء من الترضض ·
واذا بها تحتضن ، في كنها الوثير الكتيم ،
لا اعرف اي سعادة جديدة ·

الصياح الاول

من « الاناشيد كستلفيكو »

عندما يبدو الذهب في القمح
ممزوجا بخضرة اغصان الكرم النضرة ،
فيطرق القروي اثناء فراغه
على مناجله ، فوق الحجر ،

من البيادر ، من الزرائب ، من المزابل ،
التي يتبخرها ثفث الصيف ،
انتم كلكم ، صغار الديكة ، بنشيدكم الاول
تصيحون فرحين :
حياة ملوك ··· !

في كل ساعة تنثرون للرياح ،
من بين الاتلام ، من على الاغصان ،
اصواتكم النافذة المتنوعة ،
فمن ينادي ومن يتجاوب

* الثريا : بالايطالية « الدجاجة » · ومنهـــا استمد الشاعر صورتي البيدر الازرق وصيني الانجم ·

وآخرون بحناجرهم المبحوحة يبدلون ويبدلون انغام
وقوم يصيحون كأنهم يحاولون اصلاحها ،
والواحد تلو الآخر يحيي
المنزل ، والشمس ، والظل والحصاد :
حياة ملوك ··· !

ايها الديكة الصغار المتنبهة ، انتم فخر الهري
الذي ، منذ شهرين ، يكتنفكم ويعيلكم ،
عندما تسمعكم صاحبتكم العجوز
تفكر في حاجياتها ،

وحين يسمعكم الفلاح وهو يحصد
ينتقل بفكره الى سيده ،
وبينا يحزم الاكوام والجزر
ويردد معكم ، ايها الديكة :
حياة ملوك ··· !

وعندما تودعون مسقط رأسكم
تودعون الحقول مضمخين ابدا برائحة الحبوب ؛
لم تتضاربون بالمناقير على اعرافكم ،
اذا ما هزتكم يد قاسية ؟

طويلة هي الطريق ، وثقيل هو الصيف ،
وارجلكم مشدودة بالرباط الخشن :
فتؤنبون بعضكم بعضا بنشيدكم
المحتبس في حلوقكم :
حياة ملوك ··· !

ثم في المدينة ، بين جدران اربعة
تحت ضوء المصباح الخافت ،
في المطبخ القاتم الصامت ،
تتذكرون الهري والدسكرة ،

وبينما الناس نيام ، والنور
يئن من خلال النوافذ ضئيلا ،
اذا بذاك الصياح المعهود يرن في الفجر ،
كأنه تأوه عميق طويل :
حياة ملوك ··· !

يوسف اغناطيوس كالوستيان

وضع البيبليوغرافيا في العالم العربي

بقلم يوسف اسعد داغر



البيبليوغرافيا التي أخذت * على نفسي ان ارسم لكم هنا بعض مظاهر نشاطاتها البارزة واوقع قسماتها المقومة ، وصورا من الناهضين بها اليوم في الشرق العربي ، هي من هذه العلوم التي تحتل في الغرب ، ولدى الغربيين ، المنزلة الاولى بين الباحثين والمحققين اذ منها تطلون على دنيا التاليف وحركة النشر في كل صقع وقطر، من اقطار شرقنا العربي واصقاعه، وتتعرفون الى نتائج الطباعة في كل ما دق شأنه او جل أثره ·

فالموضوع رحب الجنبات ، فسيحها · ففي استعراض الكليات والجزئيات، تحديدا وتفصيلا، عبث بلطفكم، واختبار لصبركم ، وتجاوز على حقوق الغير في هذا المنبر ، لا اود الوقوع فيه · ففي الاطالة والاستطراد ، خروج على الوقت المجدد والامد المضروب · ولذا كان لا بد لي ولكم من ان استعرض مليا النشاطات البارزة في عالم البيبليوغرافيا ، في دنيا العرب اليوم ، فنقف هنيهة أمام انبه الاسماء والمعها ، وأبرز الآثار وأمثلها · وسنقف في آخر المطاف اذا تكرمتم وسمحتم ، وقفة أملى لنلقي معا ، لماما ، نظرة اشمل واحوى ، على جهد خاص في حقل البيبليوغرافيا في الشرق العربي ، قام به الواقف أمامكم والماثل الان في حضرتكم ، وذلك لما يمثله هذا الجهد الدؤوب ، من نشاط عازم وخدمة سابقة في حقل الثقافة العربية عامة ، وفي الحقل البيبليوغرافي خاصة ، في الشرق العربي ، خلال ربع القرن الاخير ·

البيبليوغرافيا علم عربي

البيبليوغرافيا علم يوغل بعيدا في مطاوي التاريخ · وهذا العلم نفسه هو عربي النجار اصلا وفصلا · أقول هذا واؤكده ، بعيدا عن كل ادعاء فارغ ودعوة حمقاء ، وغرض أعمى وتعصيب ذميم · ودليلي على هذا « فهرست » ابن النديم أحد كبار الرواد العرب الممهدين لهذا العلم من ابناء القرن الرابع الهجري العاشر للميلاد ، ويؤكد ابن النديم في مقدمة «فهرسته» انه استعان في وضعه واعداده، بآثار من تقدمه من المفهرسين العرب (١) ·

وبعد ابن النديم بنحو مائة سنة ، قام مفهرس آخر يتمتع بشهرة واسعة في العالم الاسلامي هو كبير مفهرسي الشيعة الامامية وفقيهها الاكبر ، ابو جعفر الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) (٢) فوضع كتابه المعروف : « فهرس كتب الشيعة » ، الذي سمي في ما بعد ب « فهرس الطوسي » ، في اسماء الرجال · وقد طبع الفهرس المذكور في كلكتا ، عاصمة الهند ، عام ١٨٥٣ ، في نحو ٢٨٣ صفحة بعناية وتدقيق ا · سبرنجد والمولى عبد الحق · وقد أعيد طبع فهرس الطوسي في النجد ، سنة ١٣٥٦ هـ مع تصحيحات وتعليقات بقلم القاضي الجعفري محمد صادق آل بحر العلوم مع مقدمة ضافية عن حياة المؤلف · وللفهرس المذكور ذيول وتتمات كثيرة لا يهمنا تفصيلها هنا ·

فاذا ما اضفنا الى هذين الفهرسين المشهورين ، وهما من أقدم فهارس الكتب التي وضعها السلف الصالح عند العرب والمسلمين ، الفهرس الآخر الذي وضعه في القرن الثاني عشر الهجري ، حاجي خليفة بعنوان : « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، والذي أتى فيه صاحبه على ذكر ١٤،٥٠٠ كتاب عربي ، من المؤلفات التي ظهرت قبل الاسلام او فيه ، الى عهد المؤلف ، واضول مصنفيها ووفياتهم (٣) والكتاب الآخر الذي وضعه طاش كبري زادة المتوفي سنة ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) ، بعنوان : « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » (٤) كان لنا من هذا كله ، دليل جديد قاطع وحجة دافعة ، على ان علم البيبليوغرافيا ، علم عربي النجاد أصلا وفصلا ·

ثم اذا اضفنا الى هذه الفهارس القديمة التي خلفتها لنا المدنية العربية الاسلامية في شتى ادوارها المتلاحقة ، الكنوز المكنوزة من كتب الطبقات (٥) فكانت من أسباب غنى ثقافتنا العربية والاسلامية ، ومعاجم الرجال والسير والتراجم والاعلام التي علمكم بها يغنينا هنا عن التنويه بها، تمت لنا من ذلك كله ، صورة رائعة من علم البيبليوغرافيا الذي تم للعرب والمسلمين في الشرق · كل هذه الفهارس والاثبات والمعاجم وكتب الطبقات تدلكم على مبلغ عناية العرب بالبيبليوغرافيا · منذ استبحار المدنية العربية الاسلامية في الاجيال الوسطى ، أي في عهد وزمان كانت فيه دول اوروبا وشعوبها ، علقة وجنينا في ذمة الدهر، كما كانت لغاتها لغى وآدابها تمتمات في فم الزمن ·

---

* تنشر «الاديب» لاحقا ، البحث العلمي القيم الذي اعده الاستاذ يوسف اسعد داغر الاختصاصي المعروف بعلم البيبليوغرافيا ، والقاه بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين الرابع والعشرين الذي عقد في مونيخ في مثل هذا الشهر من السنة الماضية · وقد استعرض فيه الاستاذ داغر صورة واضحة لعالم هذا العلم في الشرق العربي اليوم ، وبين اهم الصوى التي سجلها المفهرسون العرب في القرنين التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين واستعرض اسماء اهم الناهضين باعمال الفهرسة من الباحثين العرب ، في بلدان الشرق اليوم « والاديب » اذ تنفرد بنشر هذا البحث تلفت نظر الاختصاصيين لهذه الدراسة الجديدة الممتعة ·

مشاهير المفهرسين اللبنانيين في اوروبا

قلنا ان علم الببليوغرافيا هو علم عربي النجار ونود ان نؤكد هنا بانه في هذا الشرق العربي ، علم لبناني الوضع ، أصيل كلكم تذكرون جيدا ، هؤلاء الببليوغرافيين اللبنانيين واولئك المفهرسين الاعلام،ممثلين في السماعنة(٦) والحاقلاني (٧) والصهيوني (٨) وعواد (٩) ، وبطرس مبارك (١٠) وغيرهم كثيرين الذين رفعوا عاليا ، في دنيا العلم والثقافة،شهرة المكتبات البابوية والايطالية والفرنسية والاسبانية ، في القرنين السابع عشر والثامن عشر.فهؤلاء الاعلام الذين تعرفون وتقدرون عاليا ، كلهم لبنانيون ،ومن لبنان خرجوا وانطلقوا حواريين يخدمون الثقافة العربية في الغرب وينصرفون في دأب وعبادة لفهرسة المخطوطات الشرقية فيها .

وهنالك عالم لبناني من المجلين في الببليوغرافيا الشرقية ، ومن كبار المفهرسين للمخطوطات العربية ، ذائع الشهرة ، طائر الصيت ، بعيد الاثر ، هو ميخائيل الغزيري (١١) (١٧١٠ – ١٧٩٠) ، المعروف في اوساط المستشرقين والمستعربين ب « كزيري » (Casiri) .

فقد دعاه الملك فردينان السادس ، ملك اسبانيا وعهد اليه بفهرسة مخطوطات دير الاسكوريال الملكي الواقع على مقربة من مجريط او مدريد.والفهارس التالية التي وضعت في ما بعد ، لهذه المجموعة النادرة من المخطوطات العربية بعناية المستشرق الفرنسي هرتويغ ديرنبورغ (١٢) وليفي بروفنسال (١٣) انما اعتمد في وضعها واخراجها، الفهرس الدقيق الذي كان سبق للعلامة اللبناني الغزيري ، انوضعه من قبل ونشره في اسبانيا بعنوان : « المكتبة العربية الاسبانية في الاسكوريال » ، في مجلدين ظهرا تباعا ، الاول سنة ١٧٦٠ ، والثاني عام١٧٧٠في ٢٤ + ٥٤٤و٥٣٢ صفحة معا .

وهكذا يبدو فضل العلماء اللبنانيين وعنايتهم وعملهم البناء في علم الببليوغرافيا الشرقية في القرنين السابع عشر والثامن عشر أي في عهد انحطاط الثقافة العربية خلال العصر التركي العثماني ، وما قاموا به من جهد وعلم ودراية لحفظ التراث العربي المخزون في مكتبات روما والتعريف به تعريفا علميا .

ازدهار الببليوغرافيا في الشرق العربي

أما في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فقد عرفت العلوم الببليوغرافية ، في العالم العربي ازدهارا كبيرا ونشاطا ملحوظا بعد ان قام على خدمتها علماء ببليوغرافيون اعلام.وقد تضافرت عوامل كثيرة وتفاعلت بمؤثرات مختلفة ادت بالتالي الى مثل هذا الازدهار ، وهي عوامل ومؤثرات يمكن ان نردها الى الدوافع والحوافز التالية التي تضافرت معا مجتمعة ومنفردة .

١ – انتشار التربية ومرافق التعليم في الشرق العربي ، وذيوع المعارف والعلوم بالتالي بين شتى طبقات المجتمع البشري ، على اقدار وانساب متفاوتة في ما بينها، ولا سيما في العقود المتأخرة من القرن التاسع عشر التي انبلج فيها فجر الوعي العربي والقومية العربية ولا سيما في الربع الثاني من القرن العشرين ، اثر تحرر الاقطار العربية من نير العثمانيين وتمتعها باسباب السيادة والاستقلال .

٢ – تأثير الارساليات والبعثات الغربية في البلدان العربية على اختلافها ، ولا سيّما في مجالات العلم والتربية.

٣ – تغلغل الفكر الغربي بين الاقطار والاقوام العربية ملقحا لها بافكار جديدة ، ومناهج جديدة وبطرائق علمية مستجدة ، لم يكن للبلاد العربية بها كبير عناية أو اهتمام من قبل .

٤ – تأثير الحركة الاستشراقية العلمية والاثر العلمي للمستشرقين في الغرب ، وما قاموا به في الشرق وربوعه المختلفة من رحلات وبعوث، ومباحث وتحقيقات ، وما ظهروه من آثار مطموسة العالم ، واحيوه من مخلفات التراث العربي والاسلامي، بعد ان خدموه بالبحث الدقيق والتعاليق والشروح المبسطة والفهرسة العلمية المخدومة ، الامر الذي بعث في نفوس الكثيرين من العرب والمسلمين المزيد من التوعية واليقظة القومية ، وبعث في عدد كبير منها النهج على هذا المنوال .

٥ – البعوث العلمية والمناهج الدراسية في المباحث التي قام بها في الغرب علماء وطلاب عرب ، يتلقون في معاهد الغرب ، مناهج وبرامج ومذاهب ، وتقود يتخرجون بها ، فلقحت اذهانهم بالجديد من الافكار الجريئة الجديدة، والنظريات الخلاقة التي اوحت لهم ضرورة الاهتمام بالبحث العامي المخدوم ، والانقطاع اليه على أسس ركينة مركزة من التتبع والتقصي للمصادر والاصول الرئيسية التي يستحيل بدونها ان ننهض بعمل علمي أصيل .

٦ – روح من التقدمية السمحة واليقظة الوطنية التي بعثت النشاط في الاذهان والوعي الجماعي في النفوس ، وأثارت فيها روحا من التعاون المشترك. كذلك ساعدت هذه التقدمية على ان ننفض عنا تباعا هذا السبات العميق الذي غططنا فيه اجيالا طوالا ، وبعثت فينا الاهتمام باحياء تراث الجدود ونشرها نشرا علميا بعد ان قبع في مطامير الكتب والخزائن العفنة المتآكلة ، عرضة للسوس والارضة وجهل الانسان وروحه التجارية .

٧ ـ اقبال الحكومات العربية على الاكثار من المكتبات العامة ، ولا سيما بعد ان نعمت هذه البلدان بنعمة الاستقلال والسيادة الوطنية ، وعرفت اكثر فاكثر قيمة الحريـة الفكرية والعقائدية وحرصت على غرسها في النفوس وتنميتها بين المواطنين ، وذلك بواسطة التربية والتعليم على أصول جديدة من الفن الحديث والسيكولوجية التربوية ، وتيسير الاخذ باسباب الثقافة العامة وذلك عن طريق تسهيل وسائل القراءة والمطالعة ٠

٨ ـ التنشئة المهنية والمسلكية التي تمت لعدد من امناء المكتبات العامة في الشرق ، على أثر تخصصهم في معاهـد التخصص الفني في الغرب ، سواء ما قام منها في اوروبا أو أميركا ، والعمل الذي قاموا به بعد تخصصهم ورجوعهم الى بلادهم يعملون بها في صروف وظروف تعشش فيهـا الرجعية البغيضة والعصبية الضيقة الممقوتة محاولين تطبيق المناهج والمذاهب الفنية التي اقتبسوها من تحصيلهم فـي الغرب ولا سيما في حقل الفهرسة والببليوغرافيا ٠

٩ ـ انشاء وتاسيس جمعيات رسمية لامناء المكتبات في كثير من بلدان الشرق العربي والاسلامي الامر الذي كان له أثر بارز بالغ على غرس روح المنهجية العلمية بين الطبقات الواعية ٠

١٠ ـ ظهور أدب جديد في العالم العربي المعاصر ، يدور على علم المكتبات وفن ادارتها الحديثة وعلى الدعـوة الصارخة للاهتمام بالمحفوظات الرسميـة ، والعمل عـلى حفظها وصيانتها وفهرستها والتعريف بها الى الملأ العلمي ، مما ادى بالتـالي الى زرع فكرة الفهرسة ونشر أصول علم الببليوغرافيا في النفوس والاذهان ٠ مع العلم ان هـذه الدعوة التي حملها الادب الجديد، كثيرا ما جهلها المسؤولون والحكام في البلدان العربية ولم يعيروهـا الاهتمام الـذي تستحقه ٠

الماهدون والرواد

وهـا نحن نستعرض بايجـاز فـي مـا يلي ، اهـم الاشخاص الـذين عنوا بالببليوغرافيا عنايـة خاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فـي الشرق العربي ، وكرسوا لها جانبا كبيرا من نشاطهم وابحـاثهم العلمية ٠

اولا ـ في مصر

١ ـ احمـد زكي باشا (١٨٦٠ ـ ١٩٣٤) ويكنى « بشيخ العروبة » فكان من اعرف رجال عصره بالكتـاب العربي ، مطبوعا ومخطوطا ، معنيا به ، جماعا له ، مكفكفا عنه ما استشرى فيه من عمـل الارضـة وفتك الزمن ٠ انصرف للابحاث التاريخية ولاحياء بعض التراث العربي الفكري القديم ٠ مثـل مصر في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في لندن (١٨٩٢) وجمع مكتبة خاصة كانت مـن أحوى المكتبات الخاصة واغناهـا وارفلهـا بالغوالي من درر الاعلاق الخطية ، اوقفها بعد وفاته عـلى دار الكتب المصرية ٠

٢ ـ إحمد تيمور باشا (١٨٧١ ـ ١٩٣٠) ـ مؤرخ مصري ، أديب مشهور ، محقـق لغوي ، ومؤلف كبير في السير والتراجم ٠ أحب الكتـاب العربي مطبوعا ومخطوطا واحتفى به فطلبه وجمعه وعني بتفريج الكربة عنه ، وتمكن من جمع بضعة الاف مما كرم منه وندر ٠ وتجمع لديه على مر السنين شراء واستهداء او نسخا وتصويرا ، مجموعـة خاصة نيفت على ٢٠ ألف منها حفلت بنوادر الكتب وغررها ٠ وقد وهب مكتبته بعد وفاته لدار الكتب المصريـة ، التـي صانت مجاميعها ، ونشرت لهـا فهرسا خاصا يقع في ٤ مجلدات ضخمة ، ظهرت بين ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ ٠

٣ ـ جرجي زيـدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤) ـ أديب لبناني كبير متمصر ، مؤرخ ، صحافي ، وناقد أدبي ، وروائي ، هو من كبار رجال النهضة الادبية الحديثة في العالم العربي ٠ ترك لنا عددا كبيرا من المؤلفات الهامة ، منها تاريخ الادب العربي في ٤ مجلدات ـ تاريخ مشاهير الشرق في مجلدين تاريـخ التمـدن الاسلامي في ٥ مجلدات ، وسلسلة مـن الروايات التاريخية التي انتظمت تاريـخ الاسلام تبلغ ١٨ روايـة ٠

٤ ـ يوسف اليـان سركيس ـ (+ ١٩٣٥) هـو صاحب «معجم المطبوعات العربية» اكبر فهرس ببليوغرافي كامل ظهر في الادب العربي الحديث للان ، يصف الكتاب العربي المطبوع في الشرق والغرب ، من اول عهد الطباعة الى عام ١٩١٩ ، ويترجم للمؤلفين ، ويعـرف بمؤلفاتهم ، ويصفها ويشير في ذيل الكتاب وحواشيه السفلية الى اهم المصادر والمراجع التي يصح الركون اليها لمـن يرغب في المزيد من المعلومات حول المؤلف (١٤) ٠

ثانيا ـ في لبنان

١ ـ المطـران يوسف الدبس (١٨٣٣ ـ ١٩٠٧) ـ هو رئيس اساقفة بيروت الماروني ، مؤرخ لبناني مشهور ٠ من مؤلفاته الباقية « تاريخ سوريا » في ٩ مجلدات كبـيرة يدور اخرها والاخير منها عـلى تاريخ مشاهير الموارنـة بعنوان : « الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المفصل » ٠

٢ ـ الامير شكيب ارسلان (١٨٧٠ ـ ١٩٤٧) ـ هو امير البيان ، اديب عامر الثقافة ، شاعر ناثر ومؤرخ مدقق ، احيى عددا من الكتب العربية القديمة ٠ من كتبه المشهورة: « الحلل السندسية » في تاريخ الاندلس ظهر منه مطبوعا

٣ مجلدات من أصل ٧ ، ومن آثاره البارزة تعليقاته الهامة على « حاضر العالم الاسلامي » تاليف ستودارد الذي نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض · وكان الامير شكيب من أعرف رجال زمانه بالكتاب العربي ونوادر المخطوطات ومساقطها ومظانها ·

٣ ـ الاب لويس شيخو (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧) ـ هو من اشهر وابرز العاملين في خدمة الببلوغرافيا والفهرسة العلمية في العالم العربي الحديث · له في هذا الحقل عدد من المجاميع والفهارس المعروفة المتداولة ، منها : الشعراء المسيحيون في الجاهلية والاسلام ، في ٥ اجزاء ـ تاريخ الادب العربي في القرن التاسع عشر في جزئين ـ تاريخ الادب العربي في الربع الاول من القرن العشرين ـ المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ـ دليل مؤلفات اساتذة وطلاب الكلية اليسوعية ـ فهرس مخطوطات المكتبة الشرقية كما أحيى عددا كبيرا من الآثار العربية القديمة بالنشر والتحقيق · ـ وهو عمل فخم جبار تعجز عنه جماعات يجعل الاب شيخو في مقدمة العاملين للببليوغرافيا في الشرق العربي ·

٤ ـ الاب قسطنطين الباشا المخلصي (١٨٧٠ ـ ١٩٤٨) ـ هو مؤرخ الطائفة الملكية للروم الكاثوليك ، وللرهبانية المخلصية · كان جماعا للكتب المخطوطة فتوفرت لديه منها مجموعة تعداليوم اكثر من ٢٠٠٠ مخطوط ، سوادها الاكبر بالعربية ، وهي محفوظة في مكتبة الرهبانية المخلصية في دير المخلص ، في خزانة خاصة بها ·

٥ ـ الاب اسحق ارملة السرياني ـ (١٨٧٩ ـ ١٩٥٤) ـ مؤرخ كبير واخصائي بتاريخ الكنيسة السريانية والآداب السريانية ولغتها · من آثاره : فهرس مخطوطات دير الشرفة ـ تاريخ مدرسة دير الشرفة وترجمة اساتذتها وخريجيها ، مع ذكر مؤلفاتهم ·

٦ ـ عيسى اسكندر المعلوف (١٨٦٩ ـ ١٩٥٦) ـ مؤرخ لبناني ومن كبار الممثلين لادب المقالة في هذا العصر له بضع مئات موزعة على اكثر من ٨٠ مجلة وجريدة عربية· وهو من اكثر رجال العصر اهتماما بالببليوغرافيا العربية · له في هذا المضمار الواسع : تاريخ الاسر الشرقية ، في بضعة عشر مجلدا ، ولا يزال مخطوطا ، وله بضعة مجاميع في مشاهير ادباء القرن التاسع عشر ، في عدة اجزاء ، وادباء القرن العشرين · من مجاميعه الببليوغرافية المطبوعة : « دواني القطوف في تاريخ آل المعلوف » ترجم فيه لعدد كبير من الرجال والاسر التي اتصلت بالمصاهرة والمجاورة بهذه الاسرة · والاستاذ اسكندر المعلوف جماع للمخطوطات العربية ، عارف بها ، قادر لعيونها ودررها ، توفر لديه منها في خزانته الخاصة بضع مئات باقلام منسوبة باعها من مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ·

٧ ـ الفيكونت فيليب دي طرازي (١٨٦٣ ـ ١٩٥٦) ـ من كبار الجماعين للكتب في العصر الحديث ، حفي بها وصاف لها · له في حقل الببليوغرافيا : « تاريخ الصحافة العربية » الذي ظهر منه ٤ مجلدات ـ وتاريخ المكاتب ، في ٤ أجزاء ايضا ـ كذلك له السلاسل التاريخية التي ترجم فيها لبطاركة واساقفة الكنيسة السريانية ـ والفيكونت طرازي مشهور بمجموعة الصحف الشرقية التي صدرت في الشرق والغرب ، باللغات العربية والفرنسية والتركية والسريانية والتي اشترتها دار الكتب اللبنانية ·

٨ ـ السيد محسن الامين ـ (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢) احد كبار مؤلفي الشيعة في هذا العصر وصاحب معجم : « اعيان الشيعة » الذي ظهر منه للان نحو ٤٠ مجلدا ولا يزال في منتصفه ينتظر من يستأنف اخراج المتبقي منه على النهج الذي سار عليه مؤلفه ·

ثالثا ـ في سوريا

١ ـ الشيخ طاهر الجزائري ـ (١٨٥١ ـ ١٩٢٠) ـ مفتش المدارس في سوريا في العهد العثماني ومؤسس المكتبة الظاهرية في دمشق · عرف بحبه للكتاب والبحث عنه والتعريف به وجمعه · له عدة كنانيش غنية بوصف الكثير من المخطوطات العربية مما وقعت عليه يده او بصرت به عينه ·

٢ ـ محمد كرد علي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣) ـ اديب كبير ، مؤرخ ، صحافي ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق من أعرف كتاب جيله بالكتاب العربي ومن اكثرهم وصفا له ، مخطوطا ومطبوعا ، بصيرا بمحتوياته من كتبه المشهورة: « خطط الشام » في تاريخ بلاد الشام ، في ٦ اجزاء ـ امراء البيان بين الشرق والغرب· مآثر الجدود ـ مذكراتي في ٤ اجزاء · كذلك عمل جاهدا على نشر عدد من الآثار الادبية والتاريخية القديمة ·

٣ ـ محمد راغب الطباخ ـ (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) ـ اديب حلبي المولد والنشأة ومؤرخ حلب الشهباء · هام بالكتاب العربي وانصرف للتعريف بالمخطوطات العربية وجمعها · احيى بالنشر عددا من الاصول القديمة · اشهر مؤلفاته على الاطلاق : «اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء» في ٧ مجلدات ، ارخ فيها لحلب عبر الاجيال وترجم لمشاهير اعلامها حتى عهده ·

٤ ـ حبيب الزيات ـ (١٨٧١ ـ ١٩٥٤) ـ اديب سوري ، باحث ، منقب ، دقيق ، بصير ، اقتفى اثر الكتاب العربي ، مطبوعا ولا سيما مخطوطا ، لا بل من ابصر الناس

بالمخطوطات العربية ولمجموعاتها المخزونة في مكتبات الغرب · وهو مؤرخ منقب ارخ لعدد كبير من مكتبات النصرانية في سوريا ولا سيما في ضواحي دمشق · وله ابحاث قيمة يظهر عليها جهد التنقيب والتمحيص والتعقيب، كما فيها الاسناد المعجز ، نشر معظمها في مجلة المشرق والمسرة وتكون من بعضها مادة كتابية : «الاديار النصرانية» و « الخزانة الشرقية » ·

٥ ـ البطرك مار افرام برصوم ـ (+ ١٩٥٨) هو بطريرك السريان الارثوذكس من اعلام رجال هذا العصر واخبرهم بتاريخ السريان وآداب اللغة السريانية ، علامة ، بحاثة ، محقق ، مدقق ، وصاف للمخطوطات السريانية ، طلعة على مظانها في الشرق والغرب ، عليم بنوادرها واوابدها · له في حقل الببليوغرافيا والفهرسة يد طولى ، تتجلى في مباحثه العديدة وفي الكتب التي وضعها ·

رابعا ـ في فلسطين

الشيخ خليل الخالدي (١٨٦٦ ـ ١٩٤١) ، عالم فلسطيني ، فقيه ، من اسرة الخالدي ، عارف بالكتاب العربي ، قديمه وحديثه ، وصاف له ، طلعة على المؤلفات الاسلامية النادرة الوجود في خزائن العالم، دون عنها مذكرات لم يتح له نشرها · قام في هذا السبيل برحلات الى اوروبا والمغرب الاقصى ، والاندلس ، وتنقل في بلاد الشام وتركيا · ليس له في هذا الحقل اثر مطبوع ·

خامسا ـ في العراق

١ ـ الاب انستاس مناري الكرملي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٤) ـ مؤرخ ، لغوي ، ألسني ، صحافي مفهرس ، ناقد ادبي ، خبير باخبار الكتاب العربي وباخبار المؤلفين : قدامى ومحدثين · جمع خزانة غنية بالمخطوطات والمطبوعات العربية ، وهبت بعد وفاته لمكتبة مديرية الاثار القديمة في بغداد ·

٢ ـ رفائيل بطي (١٩٠٥ ـ ١٩٥٦) ـ اديب ، صحافي عراقي ، ورجل دولة · ترجم لكثير من ادباء العصر ولا سيما لادباء العراق المحدثين في كتابه : الادب المعاصر في العراق المعاصر ·

٣ ـ اسماعيل محمد البغدادي ـ (+ ١٩٢٠) هو اسماعيل بن محمد الباباني اصلا ، البغدادي مولدا ومسكنا، مؤرخ عراقي ، اديب ، عالم بالكتب ومؤلفيها ، ومن اكبر المفهرسين لها · له في حقل الببليوغرافيا العربية كتابان مهمان هما : « ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة ، في جزئين ، نشر في الاستانة ذيلا لطبعة « الكشف » فيها في وكالة المعارف التركية ـ · أما كتابه الثاني فهو : « هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين» ، في مجلدين ايضا ، وهو ايضا مطبوع (١٥) ·

٤ ـ المطران اقليموس يوسف داود (١٨٢٩ ـ ١٨٩٠) ـ مؤرخ ، لاهوتي ، وكاتب جدلي ، ولد في الموصل وتخرج في دير الآباء الدومينيكيين في الفلسفة واللاهوت واللغات الشرقية · حفي جدا بالكتاب العربي والمخطوطات العربية والسريانية ·

٥ ـ منكنا ، الدكتور الفنس هرمز ـ (١٨٧٩ ـ ١٩٣٧) عالم عراقي من طائفة الكلدان في العراق · احكم اللغات العربية والسريانية والفرنسية واللاتينية والانكليزية ، وتولى التعليم في اكليريكية الدومينيكيين بعد ان تخرج منها وسيم كاهنا·· انصرف للبحث عن المخطوطات القديمة ينشر منها ما هو نادر مفيد · جاء اوروبا عام ١٩١٣ ، وما عتم ان عين أمينا لمكتبة رايلاندس في منشستر، ثم امينا للقسم الشرقي في مكتبة جامعة برمنجهام ، ونظرا لشهرته العلمية ولابحاثه الدقيقة دعي لرئس الدائرة الشرقية في جامعة شيكاغو · وآخر مركز تولاه كان مديرية دائرة اللغات الشرقية في خزانة كتب جون رايلاندس في منشستر · وضع بالانكليزية عدة فهارس للمخطوطات، منها : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة جون رايلاندس في منشستر · ١٩٣٤ ـ فهرس مخطوطات مجلس امناء خزانة وودبروك سالي اوك ، من برمنجهام (مخطوطات عربية ـ مسيحية ـ سريانية اضافية) ، ذيل لفهرس المخطوطات العربية السريانية في كمبريدج ·

سادسا ـ في الهند

لا اظنني أشذ عن الطوق او أخرج عن الصدد ، اذا ما حدثتكم عن مجهود ببليوغرافي ضخم قام به ، في الهند، أي في قطر خارج نطاق المجموعة العربية ، السيد محمود حسن خان التونكي ممثلا بهذا الكتاب الذي وضعه بعنوان : « معجم المصنفين » وهو معجم للمؤلفين ، صرف في سبيل اعداده ووضعه ، الطيبين من الوقت والمال ، وراجع في سبيل انجازه واخراجه اكثر من ١٦٠٠ فهرس ببليوغرافي في التراجم والسير ورجال الطبقات · وقد تبلور عمله هذا عن فهرس شامل للمؤلفين العرب والمسلمين ضم اكثر من ٤٠،٠٠٠ ترجمة من تراجم الادباء والمصنفين · وقد زاد عدد من يبتدىء اسمه بأحمد بينهم ، على ١٦٠٠ اسم · فجاء عمله هذا « معجم المصنفين » اشمل واحوى ما وضع من امثاله ضم اسماء المؤلفين والمصنفين ، من عرب ومسلمين ، حتى عام ١٣٦٠ هـ (١٩٣٠ م) · فاتبع كل

مؤلف بذكر مؤلفاته ومصنفاته ، مضيفا الى هذه المعلومات ، المصادر البيبليوغرافية التي يجمل بالباحث الركون اليها ٠

ويقدر العارفون ان « معجم المصنفين » ، اذا ما تم طبعه ونشره على الوجه الذي حدده له مؤلفه ياتي في نحو ٢٠ الف صفحة ٠ وقد بوشر بطبعه بالفعل وظهر منه ، قبل وفاة المؤلف ٤ مجلدات ، تضم معا ١٤٠٠ صفحة ، اخرجتها مطبعة دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن يحوي اولها مقدمة طويلة وتقسيم العلوم العربية والاسلامية ، ويتعلق الثاني بترجمة الفقهاء الاربعة ، ويشتمل الثالث والرابع ، على تراجم المصنفين الذين تبتدىء اسماؤهم ب « ابراهيم » ٠

وقد كانت الدولة الاصافية في حيدر آباد اخذت المؤلف ومشروعه العظيم تحت رعايتها ، وضمنت له مساعدتها المادية والمعنوية ٠ الا ان الوفاة عاجلت المؤلف فانقطع العمل ، ووقف النشر عندما ظهر مطبوعا من الكتاب ، مع ان المبيضات منه تبلغ نحو ٤٠٠٠ صفحة ٠ اما الباقي فكان تحت التبيض والاعداد ٠

الشروح :

(١) ـ كتاب « الفهرست » او « فهرست ابن النديم » هو من اقدم كتب التراجم بعد كتاب « الوزراء » للجهشياري ومن افضل كتب الفهارس العربية التي وصلت الينا ، لخص فيه صاحبه التراث الاسلامي العربي ، وعرف بالكتب والعلوم وتصانيف اليونان والفرس ، والهند الموجودة منها باللغة العربية في عهد المؤلف ، وضعه صاحبه عام ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) ٠

وقد عمل المستشرق الالماني فلوغل (Flugel) مدة ٢٥ سنة على اعداد طبعة علمية للفهرست الا انه مات عام ١٨٧٠ قبل ان يخرجها للناس باجزة كاملة ٠ فقام بالعمل بعده رودينر وميلر ونشرا الفهرست ، سنة ١٨٧١ بالعربية في مدينة لنبزيغ في المانيا ، في ٣٦٠ صفحة والحقا به عام ١٨٧٢ ذيلا يقع في ٢٧٦ صفحة تتضمن التفاسير والتعاليق والاستدراكات بالعربية والالمانية مختوما بفهارس الاعلام ٠

رتبه مؤلفه على عشر مقالات عامة ٠ اما اسلوبه في التاليف فانه يقدم الكلام في الفنون التي يعربها الى ان يستكمل ابحاثه ثم يترجم للمؤلفين فيها ، ويسرد اسماء مؤلفاتهم جميعا ، وقد يغفل الوفاة والزمن ٠

وقد عثر المستشرق الالماني فون ريتر شيخ مستشرقي المانيا ، في مكتبة كوبريلي بالاستانة على الاصول الاولى للفهرست ، هي اقدم بكثير من تلك التي اعتمد عليها فلوغل في نشره للفهرست ٠

مصادر ـ يرجع في ابن النديم وفهرسته الى :

يوسف اسعد داغر ـ فهارس المكتبة العربية في الخافقين ص ٧ ـ ٩ ٠
يوسف اسعد داغر ـ دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب ، صفحة ٥٧ ـ ٦٠ ٠

محمد احمد حسين ـ الفهرست لابن النديم او فهرست العلوم ـ مجلة الثقافة (مصر) ـ عدد ١٥٦ : ٢١

(٢) ـ الشيخ ابو جعفر الطوسي هو شيخ الطائفة ورافع اعلام الشريعة ، امام الفرقة بعد الائمة ، وعماد الشيعة الامامية ، في كل ما يتعلق بالمذهب والدين ، محقق الاصول والفروع ، وعلم من اعلام الدين ٠ جاء النجف ناجيا بنفسه من بغداد ، فجعلها عاصمة من عواصم العلم والدين في العالم الاسلامي من شطان المغرب الاقصى غربا حتى اندونيسيا شرقا ٠ صنف في كل فن من فنون العلوم الاسلامية وكانت مؤلفاته عليها المعول في اكثر العصور بين الشيعة ٠

له مطولات في الحديث « كالاستبصار » (٣ اجزاء) و « التهذيب » ، وفي الفقه : « كالمبسوط » ، و « الخلاف » ، و « النهاية » و « الجمل و العقود » ، و « كتاب الاقتصاد » وفي الاصول ، ككتاب « العدة » وغير ذلك ، في موضوعات على الكلام والامامة ، والتفسير والادعية ، والعبادات ٠

(٣) ـ حاجي خليفة او كاتب جلبي (١٠٠٤ ـ ١٠٦٧ هـ) هو مصطفى بن عبد الله ولقب ب « خليفة » لانه كان معاونا في مصلحة المؤونة في الاستانة ، وصاحبها يسمى « خليفة » ٠

و « كشف الظنون » من اهم الكتب الموضوعة في الفهارس ، على الاطلاق ،صدره صاحبه بمقدمات في تاريخ العلوم والفنون وافاض الكلام في العلوم الاسلامية وانواعها ، ثم ذكر العلوم بالتفصيل واعقبها بذكر ما الف في كل منها ٠

نشره المستشرق الالماني فلوغل ـ ناشر فهرست ابن النديم ، مطبوعا في ليبزيغ سنة ١٨٣٥ ـ ١٨٥٨ في ٧ مجلدات ضخام ، مع ترجمة لاتينية وفهارس واسعة وملاحق عديدة ٠ ووضع بجانب اسماء الكتب ارقاما متسلسلة من ١ ـ ١٤٥٠٠ ، ووضع له فهرسا ترتيبا على حروف الهجاء لاسماء المؤلفين ٠

وطبع الكشف ثانية في مصر ، بمطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ (١٨٩٣) في مجلدين كبيرين ، فيهما كثير من التحريف والتصحيف ٠ وطبع ثالثة في الاستانة (١٣١١) بعناية الكتبي حسن حلمي ٠ في مجلدين ٠ وهذه الطبعة اكثر النسختين خطأ ونقصا وتحريفا وتشويشا ٠ وقد صدر منه في الاستانة طبعة رابعة جديدة بتحقيق محمد شرف الدين يلتقايا ورفعت بيكله الكليسي (١٩٤١ ـ ١٩٤٣) ، طبعته وكالة المعارف التركية ٠ وتمتاز هذه الطبعة عن سواها ، مما تقدمها ، بمحاسن عدة ، منها ان اسماء الكتب طبعت بحرف اكبر حجما من حرف المتن ، ومنها ان كل كتاب فيه ، جعل رأسا لسطر جديد وقد هذب « الكشف » وصحح بعض زلات الاصل ابراهيم افندي المشهور ب « عربه جي باشا » كما ذيل له المرحوم جميل العظم بذيل سماه « الاسفار على علوم الاسفار » لم ينشر ٠

مصادر ـ راجع في الكشف ومؤلفه كتابينا : « فهارس المكتبة العربية في الخافقين » ص ١٤ ـ ١٨ ٠

وفي « دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب » ص ٦٤ ـ ٦٨ ٠

كذلك حمزه الطاهر ـ حاجي خليفة استاذ فن الكتب ـ مجلة الثقافة (مصر) ٢ : ٢٣٨ ٠

(٤) ـ راجع في طاش كبرى زاده وكتابه «مفتاح» مؤلفنا : « دليل الاعارب الى الكتب وفن المكاتب » صفحة ٢٨ وما يليها ٠

(٥) ـ كتب الطبقات هي معاجم تراجم ، رتب فيها الرجال ، وفقا للعلم الذي تفرغوا له ، فانقطعوا اليه ، وتخصصوا فيه ، وكان القصد منها اصلا خدمة الحديث النبوي ، بالحكم على رواته ، ووزنهم بادق موازين الرواية والاسناد ٠

وكتب الطبقات متعددة الجنبات والفروع ، منها مثلا :

طبقات الصحابة ـ واشهرها على الاطلاق التاريخ الكبير للطوسي ـ وطبقات ابن سعد ـ والاستيعاب في معرفة الاصحاب للقرطبي ـ واسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الاثير ـ والاصابة لابن حجر العسقلاني ·

طبقات الفقهاء ـ وفقا للمذاهب الاسلامية الاربعة ، منها ما هو لرجال كل مذهب على حدة : كطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي ـ وطبقات الفقهاء للشيرازي ـ وطبقات الشافعية ـ والحنابلة ـ والمالكية والحنفية ، والتراجم لكل منها كثير ·

طبقات المفسرين والقراء ـ وهي تراجم للمشتغلين بالعلوم القرآنية : تفسيرا وقراءة ـ

طبقات المحدثين والحفاظ ـ وكتب هذه الطبقة اكثر ما تضمنه المكتبة العربية والاسلامية من كتب تراجم الرجال ·

طبقات النحاة ـ والشعراء ـ والصوفية والقضاة ـ والاطباء ـ وطبقات الفلاسفة ـ والحكماء ـ وطبقات الشيعة ، لكل طبقة من هذه الطبقات ، فهارس ومجامع متعددة هي مادة اولى لمعاجم الرجال ، لا يتوفر مثلها او بعضها لاي شعب او امة من شعوب الارض وامما على الاطلاق ·

(٦) ـ الساعنة او آل السمعاني اسرة مارونية انجبت عددا من الادباء الاعلام والعلماء البيبليوغرافيين عملوا في مكتبة الفاتيكان في روما وبعض المكتبات الرومانية الاخرى ، اشهرهم على الاطلاق يوسف شمعون السمعاني (١٦٨٧ ـ ١٧٦٨) ، ولد في طرابلس ودرس في المدرسة المارونية في روما · زار لبنان عام ١٧١٥ ، ورحل في سوريا ومصر وجمع ما تقادم عهده من المخطوطات العربية والقبطية والسريانية وعاد بها الى روما ، فنصبه البابا امينا معاونا لمكتبة الفاتيكان التي تعد من اقدم مكتبات الدنيا ، وفي عام ١٧٣٩ ، قلد منصب امين اول فيها · اهم مؤلفاته « المكتبة الشرقية » فهرس فيها تصانيف كتب العرب واليونان المخطوطة المحفوظة في خزائن المكتبة الفاتيكانية وترجم لاصحابها · من تصانيفه الاخرى ، تآليفه في سوريا القديمة والحديثة ، والتاريخ الشرقي ·

(٧) ـ الحاقلاني (ابراهيم) + ١٦٦٤ قس لبناني ماروني ، عالم ، ولد في قرية حاقل من قضاء جبيل لبنان تلقى دروسه في المدرسة المارونية في روما ، وعلم العربية والسريانية بروما اولا ، كان وكيلا للامير فخر الدين المعني الكبير (+ ١٦٣٦) فمثل دورا هاما في تسهيل الاتصال بين الامير اللبناني ودوق فلورنسا له مؤلفات وترجمات من العربية والسريانية الى اللاتينية · منها كتاب في نحو اللغة السريانية طبع في روما عام ١٦٢٨ ، ومختصر في الفلسفة الشرقية ، طبع بباريس عام ١٦٤١ ، وترجمة لديوان الحيوان للسيوطي الى اللاتينية · نقلت مكتبته بعد وفاته الى مكتبة الفاتيكان ·

(٨) ـ آل صهيوني اسرة مارونية انجبت عددا من العلماء والادباء علموا في مؤسسات روما المارونية ، منهم انطونيوس الصهيوني الذي علم في القرن السابع عشر في المدرسة المارونية بروما ، واشتهر بنسخ كثير من الكتب الدينية والطقسية والفلسفية · ومنهم القس جبريل الصهيوني ١٥٧٧ ـ ١٦٤٨ ، الذي درس في روما هو ايضا وعهد اليه بتدريس اللغتين العربية والسريانية ، في مدرسة السابيانس فيها ·· ودعي في ما بعد الى باريس وعلم في كوليج ده فرانس واشتغل مدة بالترجمة ·

(٩) ـ آل عواد اسرة لبنانية من حصرون انجبت عددا من كبار العلماء ، منهم المطران اسطفان عواد : (١٧٠٩ ـ ١٧٩١) الذي يسير على خطى خاله في روما ويضع لمخطوطات الفاتيكان في عهده فهرسا علميا جديدا بعنوان (فهرس مخطوطات مكتبة الفاتيكان) نشر في روما بين ١٧٥٥ ـ ١٧٥٧ ، في ٣ مجلدات ·

(١٠) ـ بطرس مبارك (١٦٦٠ ـ ١٧٤٢) راهب لبناني تخرج من مدرسة الموارنة في روما واتقن من اللغات العربية والسريانية واللاتينية والعبرانية والايطالية والفرنسية درس العلوم الكتابية وعهد اليه امير توسكانا طبع الكتب الشرقية ، وبنى مدرسة عينطوره المشهورة ، في لبنان ، في زوق ميكايل ·

(١١) ـ الغزيري ـ قس لبناني من مشاهير المستشرقين في القرن الثامن عشر · ولد في طرابلس ودرس في روما ، وعلم العربية والسريانية في كل من روما وفي اسبانيا · ثم دعي الى مدريد ، وعهد اليه بوضع اول فهرس علمي شامل لمكتبة الاسكوريال التي يعود الفضل في انشائها الى الملك فيليب الثاني ابن الملك شارل الخامس · وتقرأ قصة هذه المكتبة في المقدمة التي استهل بها الغزيري فهرسته لمخطوطاتها العربية · ومن بعض اعمال الغزيري في اسبانيا ترجمته بعض الكتب العربية ، ودرس المخطوطات العربية في قصر الحمراء في غرناطة ·
١٩٢٧ ، ص ٤٥٧ ، و٥٠٢ ·

مصادر ومراجع عن الغزيري ـ يومية المطران السمعاني ـ الشرق ١٩٢٧
فؤاد البستاني ـ الشرق ٣٤ (١٩٣٦) : ٤٧٤ ·
المطران يوسف الدبس ـ مختصر تاريخ الموارنة : ٤٩٠ ·
الاب لويس مسعد ـ المشرق ٣٤ (١٩٣٦) : ٦٠٠ ·
الاب ميشال بريدي ـ
Michel Caziri Orientaliste Libanais XVIIIe S

(١٢) ـ هرتويغ ديرنبورغ (١٨٤٤ ـ ١٩٠٨) مستشرق فرنسي لامع من مشاهير الناهضين بالمشرقيات في فرنسا · كان استاذ الدراسات العربية في معهد الدراسات العليا في باريس · ساعد اباه ، وهو مستشرق معروف ، في كثير من الاثار الادبية العربية القديمة · من اعمال هرتويغ الابن اللامعة في حقل الاستشراق الفهرست الجديد الذي وضعه لمخطوطات الاسكوريال بالفرنسية وقد تولى المؤلف بعد ان نشر الجزء الاول من فهرسته هذا ، وبعض اقسام الجزء الثاني ·

(١٣) ـ ليفي برفنسال + ١٩٥٤ ـ من اشهر والمع المستشرقين الفرنسيين ومن اوسعهم اطلاعا على تاريخ العرب في الاندلس ، وعلى الدراسات التاريخية المتصلة بفردوس العرب المفقود في اسبانيا · له في هذا الحقل دراسات وابحاث ومؤلفات هي من امهات الاصول والمراجع ، ولا سيما كتابه تاريخ العرب في اسبانيا ، الذي يقع في اربعة مجلدات ضخام · وقد أحيى عددا من الاصول القديمة المتعلقة بتاريخ القضاء وتراجم القضاة في الاندلس ، وغير ذلك من المباحث ·

(١٤) ـ الحق معجمه هذا بملحقين او بذيل في جزئين ، بعنوان : « معجم التصانيف الحديثة » ، ينتظم اولهما الكتب التي ظهرت بين ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥ ، والثاني المؤلفات اللاحقة التي ظهرت بين ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ ـ ولا افشي سرا اذا ما اعلنت هنا ان المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، تعد طبعة جديدة لمعجم المطبوعات ، بعد ان تحولت اليها حقوق التاليف من ورثة صاحب الكتاب ؛

(١٥) ـ راجع في هذا المؤلف مقالا لعز الدين التنوخي ، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مجلة ٣٠ : ١٢٩ ـ ١٣١ ·

يوسف اسعد داغر

المجـد والخيبـة

فاضل العزاوي

وحدي هنا .. كالغصن تصفعه الرياح
من الصباح الى المساء ، من المساء الى الصباح
بلا أغان أو حنان
ارنو وراء المجد لكن ..
كل ما في دخان !

أعطيته صمتي ويأسي فتلوى كالزمان
ومر يجتاز التراب بلا نذير أو أغان
فانا دخان !

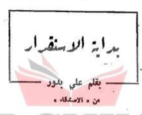
وحدي هنا كالنجمة الخضراء يجهدها الضباب
أموت لكن دون دمع أو جراح -
أموت طول الليل مصلوبا بلا ظل صليب للصباح
أموت أذكر قصة الانسان يجهضه العباب
ويكد طول العمر من أجل الرغيف أو المصير
فيموت ليلا دون حب أو حنان ...
فكل ما فيه دخان في دخان !..

وحدي هنا .. كالنجمة الخضراء يصلبني الزمان
بلا شعور أو حنان ، غير ضحكات السراب
أموت اذكر قصة الانسان .. يجهضه العباب .
قد مت .. يا ارضي بلا فجر فما معنى الصباح
بعدي ؟ وما معناي بعد الموت في الصبح الحزين ؟

وجها مسجى تأكل العقبان منه الى الصباح .
ستمر اعوام وينطلق القطار
من كل مصر أو بلاد أو قفار
فاضيع في صخب الزمان بلا مكان
وتمر أعوام فانسى ...
حفنة من طين في وجه الزمان
وبلا صدى أحيا عظامي ...
في رشيش اليأس ، في صمت القبور
ميتا وراء المجد تبصقني الدهور .

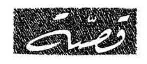
وحدي هنا .. كالغصن تحمله المياه
بلا زمان أو صليب أو حياه
وبلا مصير أو مكان
ارنو وراء المجد لكن ...
كل ما في دخان في دخان .

كركوك — العراق



بقلم علي بلور

من «الاصدقاء»



لم تكن الضجة تثنيه عن شيء.. كان شديد الحذر بادي التحفز لان يصنع شيئا ، ولكنه لا يستطيع .. وبينما كانت اهازيج النسوة كل مـا في الحفل، كان موكب العريس يتقدم ببطء ، وموكب العروس الاخـر يتصنع الهدوء ، حتى أوشك الطرفان أن يلتقيا..وحدق خالد في وجه عروسه، انه رآها مرة أو مرتين .. ولكـن كيف ؟ حاول مرة ان ينتظرها فـي الشارع ريثما تهبط درج الخياطة ، ومـرة اخرى بعد كتب الكتاب اذ أجلسوه بجانبها خمس دقائق ، فنظر اليها بدهشة ووجه طافح بالعرق ، مرتبك اشد الارتباك !!

وعـلا صوت المنشدة ، مبدية اعجابها بجمال العريس وعروسه ، مبشرة بذرية لها أول .. وليس لها آخر ، وعاودتـه ذكـرى الجلسة الاخيرة .. خمس دقائق لم يكلمهـا فيها سوى كلمتين لا يذكر الآن مـا هما .. حتى أن صوتها لم يسمعـه كفاية .. ولم يحدثها .. ولم يسألها، حتى انهما لم يتساءلا سنوية عن أشياء تظل عادة ، معلقة دون حل . واحس بوخزة دبوس تنال منه ماربهـا ، فصرفته عن تأملاته ، انها احـدى اللعينات من فتيات الحفل ، تود لو تثنيه ، هي العادة دائما .. هكذا .. لا أحد يعرف مصدر الهمس .. ولا أحد يجيب على الاسئلة ، وكذلك لا أحد يستطيع ان يعرف من ينخـزه بالدبابيس !

استراح خـالد وعروسه عـلى اريكة عالية .. ومن حولـه ، امـه وابوه ، وام عروسه .. وتزاحم امامه على بعد جد قريب ، أكثر مـن مئة سيدة وفتاة ، والموسيقى تترجم ذلك الصراخ كله الى انغام .. وهو اشبه بلوح ثلج .. يزخه العرق البـارد وتعتريه هزات متواصلة متواترة ، ولكنه على ما يبدو لا يـزال شديـد الحذر أن يبدو منه ما ينغص جـو الحفل .. وابوه تجاه ذلك كله يطرف بعـين ويحدق البصر فيـه بالعين الاخرى ، وتبدو بسماته من خـلال شاربيه المتدليين ولحيته الكثـة ، كشموع اعراس متقدة. ان اباه سعيد بهذا الفرح .. سعيد حتى الموت ، فقد كان يحلم بزواج مثل هذا لابنه.. وها هو الزواج يتم .. انه يريد ان يرى ـ وهو على قيد الحياة ـ ذرية جديدة . فاذا لم يستطع هو المساهمة في الانجاب ، فقد آن لابنه البكر أن يتحمل قسطا من الواجب في هـذه المسؤولية الازلية !!

مدت ام العروس يدها الى خالد حاملة وردة حمراء ـ هكذا كان الاتفاق قد تم بين الحماتين .. فنظر خالـد الى امه يستأذنها فهزت رأسها مشجعة ، فتناول خالد الوردة من حماته باسما او متصنعا الابتسام ، وقدمها الى عروسه، التي رفعت بصرها اليه .. انها المرة الاولى التي يراها فيها مـن خلال العينين والشفتين والوجنتين . انه في المرة الاولى يوم نزلت درج الخياطة لم يلمحها كفاية .. وعندما ادخلوه الى غرفة الجلوس في ليلـة كتب الكتاب كانت الدقائق الخمس نهبا بين اضطراب وهمسات الحاضرات اللاتي أخذن يبدين ملاحظاتهن القاسية عـن العريس المرتقب : وجهـه .. شعره .. طوله .. وروحه الـذي يحرك الكيان .. وخجله الذي يمنعه من الكلام والتحديق فيهن بأوفـر نصيب . أما الآن فانه يريد أن ينصف الجميع . لقد رآها وحـدق فيها ، وكـاد أن يحس بحـرارة جسدها المتصاعدة من خلال الثياب . ولكن.. كيف ؟ ! انه حاول كثيرا أن يثني اباه عن اصراره هذا . هو قد تعلم وتثقف وعلـم ان الحياة خبـرة وتجـارب ، ومعطيات يقدمها المرء تجاه مستقبله الذي يحرص على تشييد بنائه قطعة فقطعة.. وعرف كثيرات من الزميلات، ويخمن الان انه عاش حياة شبه عصرية ليست متحررة او مستهترة ، ولكنها مكشوفة الجوانب مضيئة الزوايا ، خالية من العقد ، ولم يكن ليخطـر في باله قط ، ان اهله وأباه بخاصة ، سوف يجبره على الزواج .. ولقد تم ذلـك كلـه سرا بين ابيه وامـه .. فاستأجرا له البيت واتما فرشه ، وعاينت امه الفتاة ، وتحدثوا فـي الموضوع مـع اهلهـا ، فقبلوه ، ثم فاجاوه بقصة الكتاب والزواج .. والحياة المستقرة للبـدء بانجـاب الاطفال . حاول هو من جانبه كثيرا ان يثنيهم عـن خطتهم فلم يفلح ، وصارحه ابوه ذات يوم :

ـ يا خالد .. انك شاب . انهيت الدراسة واديت خدمة العلم . وهـا هي الحياة العملية تفتح أبوابهـا امامك . ان الزواج عاصم من الخطيئة والضلال .. وقوتك تسمح لك يا بني ببناء مستقبلك وصرح عائلتك. هكذا عاش ابـي وعشت انـا . وستعيش انت !!

انه لا يستطيع ان يقول لابيـه صراحة كل شيء .. ان امه موظف بريد امين . هي تنقل لـه كـل ملاحظاتـه ، ولكـن موظف البريد يستطيع ان ينقل الافكار جامدة ، اما حرارة الموضوع ، احساس الانسان بمشكلاته وتعبيره عنها ، فلا يستطيع احد نقلها سوى صاحبها .. ومـن

فمه وبلسانه فحسب ·

تقدمت منه الراقصة تتمايل·· وتهتز وتحاول ان تحفظه لنفسها ·· هكذا يتصنعن عادة ، بين اعجاب المدعوات وضحكات والد العريس وام العروس التي اوشكت علائم الغيرة ان ترتسم على وجهها الذي ملاته الغضون · فأفاق خالد من تأملاته الماضية · سوف يبتسم كما يفعل ابوه الان ، بعد ثلاثين عاما من زواجه · واخذ يتأمل الجميع·· حتى عروسه اذ بين الفينة والاخرى كان يحدق فيها دون ان يشعرها ذلك ·· ولكنه يأس ·· واكثر اليائسين يقدرون بسهولة ان يتصنعوا المسرة وان كانت مسرة لا حياة فيها· لكونها لا تنبع من قلوبهم ·· بل لا تتعدى شفاههم وحاسة او حاستين من حواسهم الخمس · وبينما هو غارق من جديد في افكاره ، شعر أن الجميع يتهامسون ويتغامزون ويصدر عن بعضهم ضحكات هستيرية بادية · ولم ينتبه للامر الا بعد ان مال عليه ابوه هامسا في اذنه :

كن رجلا يا بني · متعك الله بحلالك !

وادرك خالد ان سبب هذه الضحكات الهستيرية انما هو دخوله وعروسه غرفتهما الخاصة !!

كان الشبق يلقي ظلاله على وجوه الجميع ·· النساء بعضهن اخذن يزغردن ·· وكثيرات منهن ارخين لدموعهن العنان ، بعد ان لاح لهن شبح لياليهن الاولى ، شبح العشرة والجور والعنف الذي لا يرحم · والفتيات بدا عليهن نوع من التحفز والرهبة من شيء مجهول ، كن يسمعن عزف الريح ، ويشاهدن اغصان الاشجار تتحرك ، ولكن الريح بالذات غير ظاهرة · وتحلقن حول بعضهن بعضا ، في حلقات ، بعضها يهمس ، وبعضها يتغامز ، وبعضها الاخر ذاهل من هول المصير·· وارخى خالد جفنيه واستدار نحو عروسه ليرمقها بنظرة شبه مغمضة فوجدها اشبه بالهرة التي سقطت على حين غرة في ساقية ماء ، فرثى لحالها ، اخذته الشفقة على هناء ووخزه ضميره عدة وخزات لهذه الفتاة التي لم يحدثها مرة ·· ولم يسألها سؤالا ·· لقد ساقها القدر اليه دون ارادتها ، كما فعل القدر به ، فما ذنبها ··· ولكن ما ذنبه هو اصلا ؟ وفي ابان الدقائق القليلة التي مضت خلال صعود الدرج العالي المؤدي الى غرفة نومه ، ابتسم خالد عدة ابتسامات ، بعضها حزن وبعضها انين ، واكثرها سخرية ممزوجة بالرثاء ، لحاله ·· ولحال عروسه هناء ·· ولحال ابيه الذي تعب من المساهمة في الانجاب فأراد ان يوكل الى ابنه هذه المهمة النبيلة ·

وفي الغرفة ، شعر خالد ببعض الراحة ، وبخاصة بعد ان غادرها الجميع ، حتى امها ·· وامه معا ، ولاول مرة يشعر خالد بحراجة الموقف ·هو امام فتاة من المجتمع المغلق الذي لم يختلط به من ذي قبل· فتاة بريئة طيبة ، خلوقة ، جميلة ، ولكن لم يتعرف هو بنفسه الى هذه المزايا والصفات في عروسه · لقد وصفوها فأحسنوا وصفها·· وزينوها فأحسنوا تزيينها · وبدت هي لعينه ـ وقد احسنت ادوار البراءة والطهر والعفاف ، فصدرت منها عن طبع اصيل لا تكلف فيه ـ اشبه بالزنبقة البرية التي لم يهمس في اذنيها الفجر بصلواته ، او الياسمينة التي لم يزرها النحل ذات يوم · انها فتاة لم تعرف احدا وان كانت اليوم توشك ان تصبح زوجة بالفعل ·

تذكر خالد انه في الساعة الثانية عشرة من كل ليلة وفي مثل هذا الوقت ، يكون في سريره ، يقرأ ، خالي البال ، مطمئن النفس ، راضي القلب ليس من هموم تؤرقه او احلام تزعجه · اما اليوم فانه حيال تجربة لم يباشرها من ذي قبل · انه حيال فتاة ينبغي ان يقدمها الى المجتمع في الصباح بلقب سيدة ، وقد يقدمها بلقب أم كما اوصاه ابوه · وهو خلال تجاربه كلها التي مر بها في الحياة ، لم يمر بمثل هذه التجربة ·· لقد احالته الثقافة انسانا قليل الحرارة ، ينتقي ببطء ، ويفضل ببطء ، وتتحرك عواطفه ببطء مماثل ايضا · تبدأ عنده الصداقة قبل الحب وتتفتح في نفسه ، ملكة الفهم والتقدير ووزن الشخصيات ، قبل أن يطل قلبه على هذا العالم الصغير الحافل بالاحاسيس ، الزاخر بالعواطف ، الجياش بالانفعالات ، حتى اذا انجز عدته بهدوء ، وامضى في انفاذ خططه الشهر بعد الشهر ، انس بزميلته او صديقته وحدثها احاديث زاهية ، الفاظها منتقاة ، وجرسها كترانيم الصلاة المنطلقة عبر العوالم ، الى كنف الله ·

تصنع خالد الانشغال بأشياء بسيطة ·· وملاحظات عابرة على الحفلة ·· ولكن هناء لا تزال ترتجف كأوراق الشجر ، لقد حسبوا لها صور الهول وهي المسكينة التي لم تسمح لها ظروف حياتها ، ولا ثقافتها ان تعمم على اجتياز هذه الليلة بنجاح وان كان قد حسب انها تفكر ذات التفكير ·· ووفق ذات المنحنيات ، وحتى نقاط التوقف ، ولكن دون ان تستطيع شيئا · هي فتاة من جنس هاتيك النساء اللواتي قدر عليهن ان يعشن لانجاب الاطفال، وفي المساهمة باقامة صرح العائلة·· اما الطريقة·· اما الكيفية ، اما الكمية فلا احد يسأل اطلاقا ، لا احد يسأل البتة !!

واثنى خالد نفسه عن الشطط في التفكير ·· ان الصبح يقترب الفجر يوشك ان يطل ، وعروسه لا تزال في ثياب العرس وهو في ثيابه ·· وراوده شعور بالتعب ،

واوشك النعاس ان يخرج من فمه على دفعات ، اشبه بفقاعات الصابون فتثاءب ولكنه استدار نحو الحائط لئلا تظن به فتاته الظنون ، فتظل تذكر لابنائها في المستقبل صنيع زوجها ، كما تفعل امه اليوم عندما تحدثه عن ابيه في الليلة الاولى ، يوم سال عروسه :

ـ اتحبين السمك المقلي ٠٠ ام السمك بالفرن يا فهمية ؟

وتاوه خالد ٠ انه في ازمة لا يعرف كيف يتخلص منها ٠٠ بينما ابوه في ليلة زواجه يسأل عروسه عن السمك المقلي والسمك المشوي بالفرن ٠ ان اباه في ليلة عرسه يفكر في الطعام الذي سيأكله بعد يوم او يومين ، ويصر على معرفة نوع السمك المحبب لدى عروسه ٠ انه تفكير مادي بحت ٠٠ وبسيط ايضا ٠ جسده يشعر بالقوة والطاقة فيسعى نحو تبديدها وقابلية للطعام تتزايد طردا مع نفاذ الطاقة ٠٠ والاولاد يولدون ٠٠ ثم يكبرون ، حتى اذا جاء دورهم كما هو شان الحياة ، لم يستطيعوا ان يسالوا عروسهم عن الطعام المفضل !!

طرق باب الغرفة طرقات خفيفة ٠٠ انها امه تحمل صينية حافلة بالمآكل ، منادية :

ـ افتح يا خالد ٠ بعض الطعام من زاد العرس ٠ اخشى ان تجوعا يا بني ٠٠

لقد احس بالجوع ٠ انه لم ياكل منذ الظهر ٠٠ وكيف ؟ ولعل هناء لم تاكل ايضا فسالها :

ـ متى تناولت طعامك يا هناء

فأجابته بصوت الانثى المنكسر :

ـ من ليلة البارحة يا ابن العم !!

فاراد ان يضحك ٠٠ ولكنه امسك نفسه ٠ ان المسكينة لم تاكل منذ الليلة الماضية ٠ وتذكر خالد بعض قصص امه :

ـ عندما ذهبت مع جدتك الى مكان الحفل يا خالد ، اوصتني فيما اوصتني ٠٠٠ بأن ادعي الجوع ، ومن دون ان آكل زيادة ٠ ولكن اباك لم يكترث فقد ظل يطعمني بيده حتى الفجر ثم بدأت اشاركه بقية الانواع بلا كلفة آ!

لم تكترث هناء بالاطعمة كثيرا ٠ وكادت تغص ٠ ولكنه اكل كفايته وقاما عن الصينية المزخرفة ، فانهمك خالد في خلع سترته وارتداء منامته الحريرية ، وبينما ظلت هناء بثياب العرس ، وتقدم منها مبديا استعداده لمعاونتها في خلع ثيابها ، قائلا في قالب من النكتة :

ـ من عاونك في ارتدائها يا هناء ؟

فردت بحياء يوشك ان يضمحل :

ـ الخياطة ٠٠

ـ ان الخياطة تتقن ذلك اكثر مني ٠٠ ولكنني اريد ان اجري القيام بدورها الان ٠٠ اتذكرين كم كان درج الخياطة عاليا يا هناء ؟

ـ اذكر !

ـ اتذكرين المرة الاولى

ـ ٠٠٠

ـ لعلك نسيت اذن !

ومد يده اليها يلاطفها ٠٠ حاول ان يرفع وجهها اليه براحتيه ففعل ٠ بدت له انها تعبر عن قلقها وخوفها ٠٠ وبينما كان هو من جهته يحاول ان يتحرر من مخاوفه وشكوكه وينسى كل تفرده على سلطان ابيه ، ويوطد نفسه على اعتبارها شريكة حياته ، كانت نفسه تحاول المعاودة بين الحين والحين الى اضطرابها وعنفها ، وكان قلبه يتردد في الاطمئنان لهذه الفتاة التي ما عرفها ، وقد فرضت عليه معرفتها ، كصديقة وحبيبة وزوجة وشريكة له في الحياة ٠

٠٠٠ ومد يده من جديد اليها يلاطفها ، فأرجعتها هناء مازحة ٠٠ وقد اوشكت ابتسامة صغيرة باهتة ان تنفرج عنها شفتاها ، ثم اعاد الكرة ، فلم تمانعه ، وان كانت قد انكمشت في السرير على نفسها ، مثل هرة سقطت على حين غرة في ساقية ماء !!

حلب — علي بدور

النفس العظيمة

نفسي مقالع للعطاء
نفسي ينابيع الغنى
جداول طويلة
لا تنضب
مشحونة بشرار حب ثائر
تهفو الى مستقبل
حلو الملامح ٠٠ أسمر
سالتها تكلمي
عن الهدير في دمي
قالت وماذا تبتغي ؟
من قال اني أصمت ؟
أنا البطولة تنطق
جناني لا تجدب
منائري لا تنطفي
أبدا ترش ضياءها
وتحضر
لغد طليق أخير
اعواده رطيبة
ثماره كريمة
تطيبت بالعنبر ٠٠٠

غسان طربيه
اللاذقية ـ ضهر صفرا

اخوة السلاح

أيها السالكون درب الجهاد   انا منكم أتيه بالابراد
وبحسبي أخوة الجرح ·· اما   جرحتنا مناجل الابعاد
غير أن الحصيد ، والبيدر العالي لنا وحدنا ، وللاحفاد
أيها الزارعون فجر الضحايا   كرم البذل من كريم الايادي
قسما انتم الامين المرجى   في جبين الذرى وصدر البوادي
ولعمري لغدوة في سبيل الله··   أغدوها بينكم خير زاد
فاذا الحق مشهر في يميني   واذا الثار مضرم من فؤادي
حلم ذاك · فاهنأوا : أيها الغادون دوما بالنصر ·· والاعياد

* * *

أيها الموكب الذي لم تزلزل   منكبيه مفاوز الاجهاد
فمضى كالسيوف حدا وصبرا   وارتمى قلعة على كل وادي
ستزجي لك العرائس اكليل ثناء من سؤدد الآباد
وستمشي بجبهة من شفاه   عانقت منك سدة الامجاد
بورك الساعد المفتل عزما   وتسامى عن رمية الصياد
ان للفجر فيك طرفا مريدا   وارادات فوق ظن العوادي
ولآهات اللاجئين اصطفاق   من جناحيك عاصف الارعاد
دمت للموعد الخضيب شهابا   وعلى الدرب غصة للصادي

دمشق   محمد محمود الحسناوي

خفقة قلب

قلبي ··· أيها الخافق في صدرك
المجد في سيرك
هل لك أن تهدأ ··
وتركن الى الراحة ··
تنام على نغم الهناء
وتستيقظ على بسمة الرجاء ·
فلا دموع ··· ولا شقاء
ولا وداع ··· ولا لقاء

⊙

قلبي ··· كم نزفت من دماء شبابك
واطفأت من أنوار حياتك
واضعت من بهجة أوقاتك
واذبلت من ازهار رياضك
واليوم لا خل يواسيك ،
ولا أخ يرضيك ،
ولا حبيب يسليك ·

قلبي ··· كم نسجت للفن أردية الجماد
ونمنمت للهوى قصائد الخيال
وصيرت للحسن بدائع الكمال
لم أر صدرا يضمك
ولا أنامل تضمدك ·

⊙

الا فاسترح كفاك ·· عذابا
واهدأ كفاك ·· اضطرابا
أيها الخافق في صدرك ،
المجد في سيرك ·
نم ·· على نغم الهناء
واستيقظ ·· على بسمة الرجاء

بغداد   محسن جمال الدين

شامبرام ، أسطورة ملكية

بقلم جميل عيسى غازي

أهي تلك التي علت بحداثقها عن الارض ونظرت ، في كبرياء الهة ، وهي مضطجعة على سرير الذهب ، الى الشمس الطالعة وراء دجلة ؟ انها ملتفة في الازار لكن اشواقها تهزأ بالستر وتبديها في عرى الانوثة المغري ، الضاج بالشهوات • ان في نفسها نشاطا عارما يتوق الى الحياة وفي جوهرها نزوعا الى امتلاك الانسان كله •

لمن الجبهة الساهرة التي تصطخب وراءها الاعاصير؟ هي جبهة ربة ، جبهة كاهنة منذورة للحب والحياة بل جبهة امرأة موعودة بسعادة لم تعرفها نساء الارض ولا بنات الالهة !

لمن العينان السوداوان التائهتان في المجهول والشعر الجعد المبدد كاجزاء الليل على الصدر المزدحم بالنار في صمت رائع كثير الافصاح ؟ وهذا الفم الوردي المهيأ للمحبة والعطاء ؟

بابل الجبارة ، المدينة التي رفعت جدرانها ، تلتفت اليك في شوق وخشية ماخوذة بعريك الشبيه ببزوغ الفجر ، ثارت فيها العواصف عندما اطللت عليها من فردوسك العجيب وكاد حبها يختنق في جوفها وقلقت على ذاتها •

لماذا تضحكين للاعصار ؟ الا تخافين زمجرته ؟ الا تفزعك صيحاته المدوية في ظلام الليل ؟ اتكونين قوية ، طاغية ، اكثر قوة وطغيانا من العاصفة ومن البركان ؟!•••

جبابرة في الارض وفي السماء ركعوا امام كبريائك فشاعت في صميمك نشوة جموح • كفرت بالانسان وغردت عليه في النهار وعندما اقبل الليل انقلب كفرك ايمانا وتمردك رضوخا ••• بابل كلها اقل نصيبا منك في القدرة على الحياة • انت اضرمت نارا في الارض والهبت حصاد الامم فمن اين يأتون بالطعام ؟ والكرمة داس عبيدك حصرمها والتهموا عناقيدها واعدوا بنيها ذبائح شهية للالهة التي اتخذت نفسك ظلا لها في الارض •

أي مقلتين اشد فتكا واكثر ايحاء وسيطرة من مقلتيك المشعتين بالنور ! انهما سحر الالهة الوثنية المجسد في الانسان ، فتنت اله بابل وانت في الجوف فأفاض عليك الجمال فيضا ، ظل اهدابك تابه على وجهك كانفلاتة لبعض ما في نفسك من قدرة على الظهور والابداع •

ما اعذب حركتك ، ايتها البابلية ، من وراء الاجيال ! هي اكثر رشاقة وايقاعا من رقرقة الجدول الصغير الطفل المنساب تحت قدميك ، رأتك بابل وانت متطلعة بكل قواك الى النهر الكبير ، فماذا كنت تطلبين اليه ؟ امسخرا كان لحمل عناصر السعادة الكبرى التي وعدتك بها الحياة، كم من مرة سرت على مائه الدافق ، في زورقك الملكي ، المشبع بالترف ، وحنوت على خليلك ، زاخرة بايمان المرأة ، تقصين عليه ، في ضوء القمر الملهم ملحمة حياتك المفعمة بالحب ، بالعبادة ، بالفن ، بالمعصية بالكراهية ! وكم اضجعت هنالك واتجهت ببصرك الى النجوم تنشدينه تلك القصة الحانا من الحنجرة الزاخرة بالانوثة الحنون ! وكم ارتخى الجسد الاملس الكسلان ، في هجعة الاحاسيس ، فاتصلت اتصالا محكما بالسعادة الشاملة وتبعثرت في احشاء ذلك الزورق على منكب المياه ، كلحف القصبة المرتضة ونمت والحبيب نومة هانئة حتى الفجر ، وحين هتك النور ستركما نهضت من اعماق الغيبوبة مذعورة فاذا لياليك ذكريات يحدق بها الفراغ وسعادتك طيف من لذة وخيبة تشد الخناق على ذاتك ! وها ان يديك الرخصتين تمسكان بالمجذاف فيعود الزورق بك وحدك الى الضفة ، فالحبيب وثب نحو مطلع الشمس وتوارى في مكان بعيد وظلت بابل ، بنت الهيكل تقيم العيد للعرس الذي تركت ذكراه في اختلاج النهر •

من أنت ومن ذلك الرجل ؟ امليكة انت وهو سليل ملوك قادتك اشواقك اليه فانطلق نحوك متضورا جوعا واخذ يعبث ، كالغلام ، بروعتك الملكية وبقدسية السلالة المنقولة اليك من الاباء ومن الألهة : افما كان عليك ان تصونيها حتى عن اولاد الملوك ؟

ومن الرجل الذي شربت واياه السلافة المعتقة من الكرمة البابلية ورقصت من اجله ، في مجسد مشبع بالحجارة الكريمة في وحدة الضحى ، في ظلال القصر ، رقصة اودعتها جميع ما في الانوثة الريا من تدفق ومن نزوع الى الاجتياح ؟

من ذاك الذي اطعمته اللقمة الشهية بشفتيك واتحدت به وحدة اكثر عمقا من المحبة ؟ من الناشب في جوهرك كالسحر ؟ اكاهن من كهنة الشمس ، الوسطاء بين الانسان والالهة ام هو اشعاعة انبثقت من مقلة كبير الالهة الذي تعبدين فجذبتها النار المشبوبة في ذلك الجوهر ، ام هو انسان من ابناء الارض ولدته امرأة مثلك لتقدمه طعمة للجوع المنتشر في عناصر بشريتك ؟

من الذي انفذت اليه ارادتك فبكر الى الغابة القصية ، يوم نيروز العذارى ، بنات النهرين لتعيشني المحبة واياه، بين الفراش الحانية على الزهور ، بعيدا عن الغوغاء ، حين ابصرتكما الايلة الشاردة فزخر قلبها غيرة وهبت الى الامل كالريح وهي تثغو وتضج ؟ وفي حضن الطبيعة الدافيء حملتها

مناجـــاة

الى الذين انصهرت نفوسهم في اتون الالم حتى سالت على شفاههم غناء

يا ليل طال دجاك ويحك لا سلمت من العقوق
اني سئمتك صاحبا يحبو الاخلة كل ضيق ،
اني سئمت نجومك الخرساء تسرح في طريقي ،
اني سئمت ظلالك السوداء تربض في عروقي ،
وكفرت بالايام تسحبها على جسدٍ رقيق :
في غوره أمل ينوب صداه في لج عميق
وحنين مغترب مع الايام ، يسأل عن رفيق
كفراشة بين الزهور اليبس تبحث عن رحيق
حملت روحي ما تنوء به وقلت لها : اطيقي
يا ليل انت قذى العيون الظامئات الى الشروق

لا تحسبن هواجسي ورؤاي تخدع بالبروق
فوميض فجري من خلال دجاك سال من الشقوق

* * *

يا أنت يا فجر الامان لكل مأسور ربيق
يا أنت يا أحلى نداء صب في أذن العشيق
نور حياتي من سناك وجد بكل شذى عبق
فانا انتظرتك في الليالي السود ، في اليأس المحيق
وزرعت كل شموع عمري المطفئات على الطريق

بغداد ـ الكاظمية — احمد العلوي

الى الالهة باكورة من النتاج الملكي المسكر فاكثرت ربة الغاب من الشرب وطفقت تتثاءب كالانسان • وفي الغفوة الالهية تعانق قلباكما عناقا سخيا مثمرا اختصر اشواقكما كلها جمعاء ••• وكان نسيم الحياة يمر حاملا طيب الغابة واقبل الليل رفيقا فحملتكما المركبة الرافهة ، يقودها رهط من الرقيق على الجياد المطهمة وقفلت راجعة الى القصر •

ها هي ذي رقصة الاماء للملكة البابليـــة الآلهـة ! عذارى بابل جميعا يرقصن رقصة النيروز على انغام آشور فاذا الالحان سكرى والضفائر الفاصنمة متهدلة على المناكب الرخصة الملساء والبراعم الرهيفة مستيقظة في الصدور العامرة بالصحة وبالرغبة المجنونة في الحياة ••• والعبيد يحملون الطيب المضمخ بانفاس الالوهة ويخطرون كالاشباح امام العرش الغارق بالترف •

ابناء بابل وعذاراها كلهم هبوا خفافا لاراقة البخور فسطع عرفه في صدر الملكة الجبارة فصار حبها ، أطيب من الخمر ، ونامت على الحرير نومة عميقة ، هادئة ، وفي الصباح غرد الطـير واطلت الشمس ، فاترة الشعاع ، فابتسم وجهها وانتبه قلبها فاذا هي جذلة العظام ، نديـة الجسد رافهة البال لولا النار المحتدمة في اعماق ذلك الجوف والرؤى الحبيبـة المتراصة في آفاق ذلك الذهن الملكي المبدع •••

حوران ـ خبب — جميل عيسى غازي